تاريخ الآيات والسور القرآنيّة في دراسات المستشرقين

نقد وتحليل

الشيخ محمد جواد اسكندر لو(*)

تمهيد

إنّ المراد من (تأريخ القرآن) هو تعيين تاريخ نزول السوَر القرآنيّة. وحيث أنّ طابع مثل هذا البحث تاريخيٌ فإنّ المنهج والأسلوب العلميّ الذي يَلزم اتّباعه هو الاستناد إلى الأدلّة التاريخيّة، والروايات المُعتَبرة، وكذلك مضامين الآيات والسور القرآنيّة، وبهذا اللحاظ فإنّ الباحثين في علوم القرآن من المسلمين يَستندون في هذا المجال غالباً إلى رواية (ابن عباس) الحاوية لترتيب نزول السور القرآنيّة، وأمّا المستشرقون فقد اعتمدوا في الغالب على لحن وأسلوب الآيات والسوَر ملاكاً لمعرفة ذلك، واستندوا أحياناً إلى الروايات الضعيفة وبالتالي فقد توصّلوا من خلال ذلك إلى نتائج متناقضة لا تمتلك أساساً من صحّة، فمضافاً إلى ما يُلاحظ من اختلاف نتائج دراساتهم في ترتيب السوَر مع الترتيب الروائيّ المشهور، نرى التناقض والاختلاف القائم فيما بينهم أيضاً، وهذه الملاحظة كافيةٌ بنفسها للإشارة إلى أنّ المعايير والمباني المُعتمَدة لدى كلٍّ واحدٍ منهم ليست سوى معايير ذوقيّة ومجرّد تخيّلات وهميّة.

وقد عالجنا في هذه الدِّراسة ما توصّل إليه ثمانية من هؤلاء المستشرقين في مجال تأريخ القرآن ومن ثمَّ نقد هذه النتائج، وهؤلاء المستشرقون عبارة عن: (تيودور

(*) كاتب إيراني وعضو الهيئة العلمية في مدرسة الإمام الخميني قدس سره العليا. ترجمة الشيخ محمد أيوب

نولدكه، غوستاف ڤايل، رودول، بلاشير، ريتشارد بل، ويليام موير، جريم وهرشفلد).

إنّ مصطلح (تأريخ القرآن) يُعتبر من الاصطلاحات الجديدة التي وضعت مؤخّراً من قبل الباحثين الغربيّين في موضوعيّ الإسلام والقرآن، ففي الفترة التي سَبَقت القرن الحاضر لا نَعثر على مثل هذا التعبير والاصطلاح في المدوّنات والكُتب المرتبطة بعلوم القرآن عند المتقدّمين كإتقان السيوطيّ وبرهان الزركشيّ ومناهل عرفان الزرقاويّ وغيرهم، نعم هناك إشارة إلى وجود أصل المصداق وبعض المسائل المرتبطة به. وبعبارة أُخرى فإنّ مصادر وبحوث تأريخ القرآن كانت مطروحة منذ صدر الإسلام وكمثالٍ على ذلك ما نجده من روايات متعدّدة في الصحيحين حول كيفيّة تدوين القرآن وترتيبه، وكذلك أيضاً حول كتّاب الوحي. ومن ثمّ فقد تعرّض الزركشيّ في برهانه والسيوطيّ في إتقانه إلى العديد من المسائل الراجعة إلى تأريخ القرآن، ككيفيّة نزول الوحي وترتيب الآيات والسور وتسميتها، وإلى أنّ ترتيبها وتواليها توقيفيّ أم غير توقيفيّ، وكيفيّة تدوين المصاحف المختلفة، والرسم العثمانيّ للخطّ، واختلاف القراءات، وغيرها...

وأمّا في عصرنا الحاضر فقد ظَهرت الكثير من المؤلّفات حول تأريخ القرآن من قبل المستشرقين، وقد رتّب (الدكتور محمّد حسين علي الصغير) سيَر هذه المؤلّفات وفق التسلسل التاريخيّ[1]. وممّا يجدر الإشارة إليه ها هنا أنّنا قد نجد العديد من القضايا التي يُمكن أن تُطرح في مجال تأريخ القرآن، كالوحي، وتقسيم القرآن، وأسباب النزول سواء الآيات أو السور، وكيفيّة نزول القرآن، وترتيب النزول. إلا أنّ هذه الدِّراسة الماثلة بين يديك تتعرّض فقط إلى خصوص ترتيب نزول الآيات والسور القرآنيّة.

وحيث أنّ القرآن الكريم قد نزل بشكلٍ تدريجيّ، وطبقاً للمقتضَيات والظروف والحاجات، لذا كان من الضرورة بمكان التعرّض لتأريخ نزول الآيات القرآنيّة، ولذا فإنّ المنهج التاريخيّ هو أفضل منهجٍ يُمكن اعتماده في سبيل تقديم التفسير الصحيح والواضح للقرآن الكريم.

هذا وقد اهتمّ المستشرقون ـ منذ أواسط القرن الثالث عشر ـ أمثال: دايل، نولدكه، بلاشير، رودول، موير، هرشفلد، ريتشارد بل وجريم بالأبحاث والدِّراسات المتعلّقة بتأريخ نزول القرآن، ومن ثمَّ قاموا بنقدها وتحليلها وسوف تَظهر الجوانب المختلفة والمتعدّدة لهذا الموضوع لذوي الشأن والاهتمام القرآني.

تحقيق غوستاف ڤايل[٢]

يُعتبر نظام (غوستاف ڤايل) ذي المراحل الأربعة في تأريخ نزول الآيات والسور القرآنيّة والذي ذكره في كتابه «المقدّمة التاريخية النقديَّة للقرآن الكريم» من أكثر النُّظم المتلقّاة بالقبول في هذا المجال، ومن ثمَّ أصبح مورداً للاهتمام والمتابعة من علماء آخرين أمثال (نولدكه)، (بلاشير) و (رودول).

قدّم (غوستاف) تاريخ السور وفق معايير ثلاثة:

١ ـ الاستناد إلى الوقائع التاريخيّة المعلومة من مصادر تاريخيّة متعدّدة أي إنّه قد أُشير إلى بعض الوقائع التاريخيّة في القرآن إلا أنَّ شرحها وتفسيرها لا بدّ وأن يُبحث في المصادر التاريخيّة.

٢ ـ مضامين الوحي أو محتوى الآيات التي تُشير إلى الوظائف المتعدّدة للنبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ سبك وسياق نظام الوحي بلحاظ أسلوب اللّحن والنغَم وكيفيّة نثر الكلمات وسجعها. والجدير ذكره ها هنا أنّ هذا المعيار الأخير كان مورداً للإشكال والنقد وسنُشير إلى ذلك لاحقاً. كذلك قسّم (غوستاف) السور القرآنية إلى أربعة طوائف ثلاثة منها مكيّة والرابعة مدنيّة، ومن ثمَّ رتَّب السور المكيّة بناء على هذه المقاطع والمراحل التاريخيّة:

أ ـ منذ بداية البعثة وحتَّى الهجرة إلى الحبشة الموافقة لسنة ٦١٥م.

ب ـ من الهجرة إلى الحبشة (٦١٥م) وإلى حين رجوع النبيّ صلى الله عليه وآله من الطائف سنة ٦٢٠م.

ج ـ ومن التاريخ الأخير إلى هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة الموافق لسنة ٦٢٢م.

وبناءً على هذه المراحل التاريخيّة فقد حدّد (فايل) خصائص معيَّنة للسور النازلة في كلٍّ مقطع منها:

خصائص الطبقة الأولى:

ـ ابتداء أغلب السور بنوعٍ من القسَم.

ـ إنّ أغلب الآيات قصيرة ومؤثّرة.

ـ إنّ آياتها موزونة ولها سجعها.

ـ إنّ لسان هذه السور مشبعٌ بالتصاوير والتمثيل الشاعري والجاذبيّة الشعريّة[٣].

إنّ هذه الخصائص التي أشار إليها (فايل) بالنسبة للطبقة الأولى من السور المكيّة يعتمد على مبنى سَبك الآيات وظاهرها، ومثل هذا الاستظهار ليس جامعاً ولا مانعاً بحيث يُمكن على أساسه من تقسيم كلِّ السور وتمييزها عن بعضها البعض؛ وبعبارةٍ أخرى، فإنّ الكثير من التغييرات طرأت بلحاظ الأسلوب في طول مدّة نزول الوحي، إلا أنّه لا يوجد أي دليلٍ يدلُّ على أنّ السور ذات الأسلوب والنهج الواحد لا بدّ من تعلّقها بمرحلة زمانيّة معيَّنة بخصوصها، وبالتالي عدم إمكان وجودها في غيرها من المراحل الزمنيّة. وكمثالٍ على ذلك يُمكن الإشارة إلى ملاك قصر الآيات والسوَر وطولها والذي يُعتبر ملاكاً ذوقيّاً وشخصيّاً، ففي الأساس لا ملازمة إطلاقاً بين قصر الآيات أو كونها اعتقاديّة مع كون السورة مكيّة أو اختصاصها بالمرحلة الأولى من نزول الوحي المكيّ في جميع الموارد. بل ثمّة موارد متعدِّدة للنقض أيضاً ومن باب المثال، فإنّ بعض السور الطوال قد نزلت في مكّة كسُوَر: الأنعام، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه، مريم، الأنبياء والمؤمنون.

وفي المقابل نزلت العديد من السور القِصَار في المدينة المنوّرة كسور: النصر، الزلزلة، والبيّنة.

لا يتقبل العقل والسيرة العقلانيّة والأدبيّة للعلماء إلزام الله عز وجل بإنزال قصار السور في أوائل الوحي، ومن ثمّ البدء بإنزال السور الطوال بالتدريج. حيث إنّ خصوصيّة الموضوع ومحتواه أهمٌّ بكثيرٍ من نوع الكلمات والعبارات وتعدادهما طولاً وقصراً.

خصائص الطبقة الثانية

ـ طول السور وقربها من النثر.

ـ لا زلنا نرى فيها الخيال والجاذبيّة الشعريّة.

ـ أُشير فيها إلى الصفات الإلهيّة كالرحمة، وذُكرت فيها أوصاف الجنّة والنار، وكيفيّة العقاب والعذاب، وكذلك ذُكرت فيها آيات الله في الطبيعة.

خصائص الطبقة الثالثة

ـ طول سورها بالمقايسة مع سور الطبقة الثانية، وكونها أكثر منها قرباً إلى النثر.

ـ أنزلت بنحو الخطابة والوعظ وتفتقد للجانب العاطفيّ.

ـ تعرّضت لبيان قصص الأنبياء، وبتفصيلٍ أكبر للعقاب الأخرويّ.

خصائص الطبقة الرابعة

ـ بيان سير الأحداث بعد الهجرة.

ـ الآيات والسور أطول من سابقاتها.

ـ يتبيّن حجم القوّة والقيادة السياسيّة والاجتماعيّة الواسعة للنبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

ونقول ها هنا، إنّ نفس الإشكال الأوّل العام يرد هنا أيضاً، ويرجع إلى عدم صحّة الاستناد إلى أسلوب وظواهر الآيات والسور من أجل الفصل بين السور وتعيين تاريخ نزولها، بلا حاجةٍ إلى مزيد من التوضيح والتحليل.

وبعبارة ثانية إنّ مثل هذه الخصائص يُمكن أن تكون ذات جنبة تغليبيّة وأكثريّة إلا أنّها لا تمتاز بالضرورة بوصف الجامعيّة والمانعيّة.

دراسة نولدكه

قام (تيودور نولدكه)[٥] بتقسيم سور القرآن ـ طبقاً للمعايير الثلاثة التي ذكرها غوستاف فايل ـ إلى أربع طبقات ثلاثة منها مكيّة والرابعة مدنيّة، وقد عرَض نتائج دراساته في كتابه (تاريخ القرآن) المنشور سنة ١٨٦٠ ميلاديّة، وقد قام (نولدكه) بتقديم أسلوب جديد في ترتيب وتأريخ السور القرآنيّة متجاهلاً الروايات الصحيحة والأخبار الواردة في المقام والمنقولة عن صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله والشاهدة بنفسها على نزول الوحي الإلهيّ والواضحة الدلالة على زمان ومكان نزوله. وقد سمع التّابعون ذلك تفصيلا من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله ونقلوها كذلك إلى تابعيهم وهكذا.

والجدير ذكره هنا، أنّه لا منافاة في الاستناد إلى الروايات الصحيحة وإعمال النظر الاجتهاديّ والتتبّع والتحقيق الشخصيّ في موردها. وخاصّة في الموارد التي لا وجود فيها لروايات صريحة أو معتبَرة، إذ أنّه حينئذ يُمكن إبداء الرأي استناداً إلى القرائن والأمارات الموجودة والفحص والتتبّع في مفاد الآيات والتمسّك بتاريخ وسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله.

ولكن (نولدكه) ذهب إلى القول بضرورة ترتيب نزول الآيات والسور القرآنيّة خلافاً للطريقة الإسلاميّة المعتمَدة، وقد اختار لنفسه أسلوباً جديداً فرض تأثيره على الكثير من المستشرقين والذين تابعوه في ذلك رغم أنّهم لم يصلوا إلى نتائجَ مشتركة أحياناً.

وشيئاً فشيئاً شغل هذا الأسلوب في تأريخ القرآن أذهان المستشرقين عامّة ممّا ولّد الكثير من الاشتباهات العظيمة، وعرّض ساحة الدّراسات القرآنيّة لمزيد من المخاطر.

ذكر (نولدكه) خصائص السور ضمن طبقات مختلفة على أساس النحو التالي :

خصائص السور النازلة أوائل الوحي في مكّة

١ ـ إنّ السور المرتبطة بالمرحلة الأولى من الوحي المكيّ تُشير في أغلبها إلى شدّة اضطراب النبيّ صلى الله عليه وآله وتشنّجه وقد كان هذا التشنّج والانفعال يَبلغ من الشدّة إلى حدّ عدم تمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله من اختيار كلماته بل كانت تصدر دون قصد على لسانه[٦].

ويمكن ردّ هذا الكلام من جهة أنّ القرآن المجيد يَذكر ثلاثة آيات فقط تُذكِّر النبيّ صلى الله عليه وآله بعدم الاستعجال في التلفّظ بآيات القرآن والوحي وتُطمئن النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه لن ينسَ أبداً أي كلمةً من الوحي: ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[7]، ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[8] و﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى ﴾[9].

وكما يُلاحظ فإنّ أياً من هذه الآيات الثلاث لا تدلُّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يمتلك قدرة التسلّط على اختيار كلماته، وأنّها كانت تخرج من فمه بشكل لاإراديّ، بل إنّ مفاد هذه الآيات يدلُّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يكرِّر بسرعة ما يُلقى إليه لئلا ينساه فقط، ولذا فإنّ ما أفاده (نولدكه) وادّعاه من أنّ اضطراب النبيّ صلى الله عليه وآله وانفعاله في أوائل الوحي كان كبيراً لدرجة عدم القدرة على اختيار الكلمات أمرٌ في غاية الضعف ولا يُمكن القبول به.

٢ ـ إنّ سور تلك المرحلة من الوحي تَشبه الأقوال الغيبيّة للكهنة، ولم تكن بالسور الطوال أبداً بل كانت تحوي الجمل القصيرة التي طرأ عليها أسلوب السجع[10].

لقد شبّه (نولدكه) كلام القرآن في سوَر المرحلة الأولى المكيّة من حيث التسجيع والقصر والمُقترن بالقسَم بكهانة الكهنة الملحدين المدّعين للغيب قبل نزول القرآن، وهذه المقايسة لا صحّة لها على الإطلاق، بل لا يُمكن إنكار الاختلاف الموجود بين القرآن والكهانة، حيث إنّ الكهانة فيها التكلّف والكذب والأباطيل والأراجيف والكلام اللامأنوس بينما لا يوجد أي نقصٍ أو عيبٍ وأمثال هذه الأمور في القرآن الكريم.

٣ ـ إنّ أغلب تلك السور قد ابتدأت بالقسَم وهو أمرٌ كان معتمَداً من الكهنة في كلماتهم، ولقد كان أسلوب القسم في بعضها قويّاً وشديداً لدرجة لا يُمكن الإحاطة به ومعرفته، بل لعلّ البناء كان على عدم معرفته، حيث نجد في هذه السور الكثير من الأمور والمضامين العجيبة والغريبة.

٤ ـ وجود صفات واضحة ومؤكّدة عن يوم القيامة في هذه السور، فقد ذكرت نعمَ الجنّة وعذاب النار وعقابها بشكلٍ جذّاب ومؤثّر وجدانيّاً، نعم ليست كافّة سور هذه المرحلة بنفس النمط من الحدّة والشدّة بل إنّ السور النازلة في أواخر هذه المرحلة اتّخذت شكلاً أكثر هدوءاً[١١].

وبعد أن يبيّن (نولدكه) الخصائص الأربعة للطبقة الأولى من السور المكيّة يُذعن بصعوبة تعيين تاريخٍ دقيقٍ لنزول السور المكيّة، فيقول:

مع كلّ هذا يجب الإذعان بأنّ تعيين تاريخٍ دقيقٍ لنزول السور صعبٌ جداً كمثال فإنّه لا يوجد أيُّ طريق يبعث على الاطمئنان بأنّ أوائل سورة العلق هي أقدَم أقسام الوحي القرآنيّ، حيث إنّ الروايّة التي تذكر بأنّ سورة العلق هي أوّل سورة تنسب إلى عائشة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، مع أنّها لم تكن قد ولدت بعدُ عند نزول الوحي، ومضافاً إلى ذلك فإنّ عائشة لا تتمتّع بأيّ وجه بمقدارٍ كاف من الوثاقة والاعتبار، والدليل الآخر على ذلك وجود بعض السورَ الأخرى التي يعتبرها البعضُ من أوائل السور القرآنيّة المُنزَلة[١٢].

وما يُسجّل على كلامه هذا:

أولاً: إنّ هذه الرواية نُقلت في كتب أهل السنّة أيضاً بطريق لا ينتهي إلى عائشة، فقد نقل الطبرانيّ في المعجم الكبير بسند صحيحٍ عن أبي رجاء العطارديّ قوله: «كان أبو موسى الأشعريّ يُقرئنا فيُجلسنا حلقاً، عليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**...﴾ قال هذه أوّل سورة أُنزلت على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله» وأخرج هذا المعنى (ابن أشتة) في كتاب المصاحف عن (عبيد بن عمير)[١٣].

ثانياً: صرّحت المصادر الشيعيّة أيضاً بوجود رواياتٍ متعدّدة تُشير إلى أنّ سورة العلق هي أوّل سورة أُنزلت على النبيّ صلى الله عليه وآله[١٤].

خصائص السور في أواسط المرحلة المكيّة

أولاً: «قلّ أسلوب التخيّل بشكلٍ محسوس[١٥]».

ونقول ها هنا في الجواب على ذلك: إنّ هذا الافتراض المُسبَق حول قلّة

استعمال الأسلوب التمثيليّ والتخيّلي تدريجاً في السور القرآنيّة قابلٌ للنقد، إذ ما هو الدليل على نَفي تتاليّ التدرّج صعوداً وهبوطاً وكذا العكس في الاستعارة والتمثيل في القرآن، والحكم نتيجة ذلك أنّها اتّجهت فقط هبوطاً. بل أين هو مقام الاستعارة والتمثيل؟ إنّ المراد من أسلوب التخيّل هو الاستفادة من أنواع المجاز. وقد اعتَبر ابن رشيق بأنّ الاستعارة من محاسن الكلام بشرط استعمالها في محلّها وموضِعها المناسب[١٦].

نعم ليس كلُّ استعمالٍ للاستعارة يوجب تحسين الكلام، ولذا قسّم (عبد القاهر الجرجانيّ) الاستعارة إلى قسمين: استعارة مفيدة وغير مفيدة، ويقول: إنّ الاستعارة غير المفيدة يُراد منها فقط مجرّد التنوّع في التعبير والتفنّن في أداء الكلام وهذا ما يقلّل من قيمة الكلام، وذلك خلافاً للاستعارة المفيدة التي يترتّب عليها غرضٌ في التعبير كالموارد المشتملة على أنواع التشبيه[١٧].

مثلاً قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾[١٨]. حيث استعمل فيها التشبيه المطويّ والباعث على تحسين الكلام وجماله، لأنّه شبَّه الأرض والسماء بمن له عقل ودراية وكلام، ولهذه المناسبة نَسب الكلام إليهما[١٩].

ومع الالتفات إلى ما ذكرناه فإنّه لا دليل يدلُّ على أنّ الاستعارة والتمثيل في القرآن كانت في مرتبة أعلى ثم تدنّت إلى الأسفل وبشكلٍ تدريجيّ. بل إنّ القرآن الكريم نزل على أساس مقتضى الحال. وبعبارة أُخرى يُمكن القول بأنّ الاستفادة من أمثال هذه الأمور شائعٌ ومتداول في كلّ الألسنة والتي من جملتها اللّسان العربيّ الذي نزل القرآن بلغته.

ثانياً: «إنّ هذه السور ورغم استمرار حالة الحماس والاندفاع فيها إلا أنّها ومن حيث المجموع تعمل وبشكل ملحوظ على تخفيف حالة الاضطراب عند النبيّ صلى الله عليه وآله[٢٠]».

لقد اعتبر (نولدكه) أنّ تخفيف حدّة الاضطراب وعدم الاستقرار عند النبيّ صلى الله عليه وآله هو من خصائص وعلامات السور في أواسط المرحلة المكيّة مع أنّه لم يذكر أيّ دليلٍ

أو شاهد على أصل هذه الحالة، ونسبتها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى عدم وجود أي دليلٍ عقليّ أو نقليّ لإثبات هذا المدّعى، نعم عندما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتّصل بعالم الغيب كانت تصيبه حالة يُطلق عليها في الاصطلاح «برحاء الوحي».

إلا أنّه لا بدّ من القول بأنّ مثل هذه الحالة ليست دليلاً على الاضطراب والشكّ والخوف والقلق، بل كانت ناشئةً عن إدراك وإحساس عظمة وكبرياء مقام الحقّ تعالى مرتبطاً بزمان الاتّصال المباشر بعالم الغيب وكما كان يقع في مكّة فقد كان يقع مثله في المدينة أيضاً.

ثالثاً: «تمّ اختيار مكان القسَم في أوائل السور والآيات[٢١]»

اعتبر (نولدكه) أنّ استعمال القسَم في بداية الآية الأولى في العديد من السور دليلٌ على كون هذه السور مرتبطةً بالمرحلة الوسطى للوحي المكيّ. وهذه السور هي: الذاريات، الطور، النجم، القلم، القيامة، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات والعصر.

إنّ هذه السور المصدَّرة بالقسَم قد اعتبرها (نولدكه) نفسه جزءاً من السور النازلة في المرحلة الأولى من الوحي المكيّ، والغريب أنّ تعداد مثل هذه السور أكثر من السور التي اعتبرها من المرحلة الوسطى للوحي المكيّ والمصدَّرة بالقسَم ولذا كيف يمكن تعيين مرحلة نزول السور بالاستناد إلى مثل العلامة كابتدائها بالقسم؟

رابعاً: «إنّ هذه الطائفة من السور والتي يصل مجموعها إلى إحدى وعشرين سورة تنبعث منها جاذبيّة الوحي وجمال آياته، إنّ إحدى سور القرآن والتي تسمّى بسورة الفاتحة ترتبط ببداية هذه المرحلة[٢٢]».

هذه إحدى الاشتباهات الرئيسية التي وقع فيها (نولدكه) حيث اعتبر نزول سورة الفاتحة مرتبطاً بالمرحلة الوسطى للوحي المكيّ وخصّص لها في مقام الترتيب والتعداد الرقم (٤٨)، مع أنّنا نعلم بأنّ سورة الفاتحة جزءٌ لا ينفكُّ عن الصلاة ومن شرائط صحّتها كما ورد في العديد من الروايات من أنّه «لا صلاة إلا بفاتحة

الكتاب[٢٣]». هذا ومن المسلَّم به أنّ الصلاة من أوائل الأحكام الشرعيّة التي صُرّح بوجوبها في صدر الإسلام وكان النبيّ صلى الله عليه وآله مأموراً بإقامتها مع أصحابه، ولذا لا إمكان لكون سورة الفاتحة في المرتبة الثامنة والأربعين من السوَر النازلة كما أرّخ «نولدكه».

وبناءً على ذلك وكما هو الموجود في جدول ترتيب النزول المنسوب لعلماء الإسلام فإنّ سورة الفاتحة هي السورة الخامسة المنزلة في أوائل الوحي المكيّ أي في بداية البعثة النبويّة[٢٤].

خصائص السور في المرحلة النهائيّة للوحي المكيّ

إنّ سوَر هذه المرحلة جاءت وبشكل كامل تقريباً بشكل نثريّ واحتوى بعضها على التسجيع، وشيئاً فشيئاً بدأت تأخذ لنفسها قالباً وشكلاً معيّناً عادة ما يختم بـ «ون» و «ين»، وقد قلّ فيها أسلوب التمثيل والخيال، واتّخذت آيات الوحي أسلوب الخطابة، وقد تكرّر فيها ذكر قصص الأنبياء والأفكار والعقائد الماضية. وبعض هذه السور كبيرٌ بشكلٍ لافت، وكذلك فإنّ بعض الآيات في هذه السور أكبر بالمقايسة إلى آيات السور في المرحلة السابقة، وأحياناً تبرز فيها أطياف من القوّة الشعريّة.

إنّ هذه الطائفة من السور والتي يَصل عددها إلى إحدى وعشرين سورةً أيضاً، يُمكن اعتبارها مظهراً لغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وتألّمه في مقابل ردّة فعل بعض أفراد قبيلته في مكّة على رسالته[٢٥].

إنّ هذه الخصائص التي اعتمدها (نولدكه) للسور في المرحلة النهائيّة للوحي المكيّ تستند في أغلبها إلى الأسلوب الظاهريّ للآيات، كالتسجيع والخيال و...إلخ. وقد تعرّضنا فيما سبق لنقدها وتحليلها وبالتالي لا حاجة لتكرارها ها هنا.

خصائص السور في مرحلة الوحي المدنيّ

إنّ أسلوب السور المدنيّة يشبه إلى حدٍ بعيد السور في المرحلة النهائيّة للوحي المكيّ.

وفي أغلب نثرها يُشاهد مظاهر وجمال الفصاحة بكثرة، وتحتوي على بعض الصور الباهرة والجذّابة وخاصّة في تلك الآيات التي تخاطب المجاهدين المؤمنين، إنّ هذه السور والتي يصل تعدادها إلى أربعة وعشرين سورة ـ بترتيبها التاريخيّ واحدة تلو الأخرى ـ تبيّن تعاظم القدرة السياسيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وتشكيل النطاق الاجتماعيّ للأمّة الإسلاميّة.

وعلى كلٍّ حال فقد أصبح النبيّ صلى الله عليه وآله في مجتمع المدينة قائداً على المستوى الدينيّ والاجتماعيّ.

وفي هذه المرحلة نزلت الآيات القرآنية التي ترتبط بتشريع الأحكام الجزائيّة وتنظيم الأمور الداخليّة أو الأحوال الشخصيّة كقوانين الزواج والطلاق والإرث وكذلك الآداب والشؤون المختلفة في الأمور الشخصيّة والإرشادات اللازمة عند الابتلاء والمحن الطارئة وأيضاً الآيات التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله.

وأُشير في هذه السور أيضاً وفي أكثر من ثلاثين مورد منها إلى الذين لهم كتب سماويّة من قَبْل بعنوان (أهل الكتاب) ليتميّزوا عن الذين ليس لهم كتاب سماويّ والمعبّر عنهم بـ(أميّون).

وتُشير طائفةٌ مهمّة من الآيات المدنيّة إلى قطع النبي لعلاقته مع قبائل اليهود، ومن ثمَّ قدّمت شخصيّة النبي إبراهيم بعنوان أنّه باني الكعبة وأوّل أسوة للمسلمين الحنفاء، وذلك إشارة إلى الدّين الخالص لله والذي سيستمرّ ويقوى على يدّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله[٢٦].

إنّ هذه الخصائص التي ذكرها (نولدكه) للسور والآيات المدنيّة مقبولة وتعتبر من استنتاجاته الصحيحة.

دراسة رودول

قام (رودول ـ **Rodwell**)[٢٧] في سنة ١٨٧٦ ميلاديّة بترجمة القرآن في لندن وطبعه ونشره، وزعم أنّ كلَّ السور القرآنيّة فيه مرتبةٌ على أساس الترتيب الزمانيّ

لنزولها، وقد سار في دراسته تلك على أسلوب وطريقة (نولدكه)، إلا أنّه أبدى بعضاً من آرائه واجتهاداته الشخصيّة بالنسبة لترتيب السور المرتبطة بالطبقة الأولى من مرحلة الوحي المكيّ.

ويبدأ (رودول) كلامه بالقول بأنّ الآيات النازلة في مرحلة بداية الوحي لمّا كانت قصيرةً فلا بدّ من وضعها في المكان المناسب لها في مختلف السور، وكمثال على ذلك يقول في مورد سورة (الملك): «إنّ الآيات الثامنة إلى الحادية عشرة نزلتْ متأخّرة عن سائر الآيات إلا أنّها أُدرجت في مكانها فيما بعد، حيث إنّ كلّ واحدة من هذه الآيات أطولُ من باقي آيات السورة نفسها»[٢٨].

وهنا نقول وبلا ترديد أنّ مجرّد النَظر إلى نفس المصحف العربيّ ـ وبلا حاجة إلى ترجمة وتنظيم (رودول) ـ يجعلنا ندرك أنّ الآيات (٨-١١) من سورة الملك تحتوي بالترتيب على هذا العدد من الكلمات (١٣، ٩، ١٢، ٥) مع أنّ سائر الآيات في نفس السورة يحتوي على كلمات يتراوح بين ٨ إلى ١٨ كلمة. والأهمّ من ذلك إنّ هذه الآيات (٨ إلى ١١) والتي ادّعى (رودول) إدراجها فيما بَعد في هذه السورة لها ارتباطٌ كاملٌ بلحاظ السياق والموضوع مع الآيات السابقة واللاحقة، ولإثبات هذه الحقيقة يمكن ملاحظة الآية السادسة إلى الآية الثالثة عشر من نفس السورة بالتدقيق حيث يقول تعالى: ﴿ **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * ... إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ فإنّ هذه الطائفة من الآيات ترتبط ارتباطاً منطقيّاً ومعنويّاً واضحاً بالآيات الأولى من السورة، حيث أنّه تعالى يذكر من الآية الأولى إلى الخامسة كلاماً عن العظمة والقدرة الإلهيّة وأدلّة ذلك في عالم الخلق، ويذكر في الآيات مورد البحث أولئك الذين أنكروا هذه الأدلّة واختاروا طريق الكفر والشرك وأنّ الله سيعذّبهم كما عذّب الشياطين.

ومن ثمّ يُبيّن سبب استحقاقهم للعذاب فيقول إنّه من جهة: جعل لكم السمع والعقل، ومن جهةٍ أُخرى أرسل لكم الأنبياء بالدلائل الواضحة لتأمين سعادتكم ولكنّ

الإنسان عندما تكون له أذن لا يسمع بها، وعين لا يُبصر بها، وعقل لا يفكّر به، فحتّى لو أرسل إليه جميع أنبياء الله والكتب السماوية فلن تؤثّر فيه.

كما ادّعى (رودول) أيضاً بأنّ الآيات (٢٤-٦٠) من سورة الذاريّات لم توضع في مكانها الأصليّ بل نُقلت من مكانها إلى موضعها الحالي أثناء جمع القرآن وتدوينه في أيّام عثمان وذلك كي يكون للقرآن تعديل يناسبه[٢٩].

وعدم صحّة هذا المدّعى سهل الإثبات أيضاً، إذ أنّه وبالتأمّل في مطالب هذه السورة ومفاهيمها، وتحليل محتوى الآيات يتبيّن معنا أنّ الآيات (٢٤-٦٠) هي تكملة وبشكل منطقيّ وطبيعيّ للموضوع الذي تعالجه الآيات الأولى منها وحتّى الآية الثالثة والعشرين.

وحيث أنّ (رودول) قد اتّبع منهج (نولدكه) مستخدماً لمعاييره ومبانيه، فليس هناك أيُّ جديد جدير بالبحث في كلامه سوى بعض الآراء المتفرّقة هنا وهناك حول شخصيّة النبيّ محمّدﷺ وكذلك حول اقتباس القرآن من العهدين و...إلخ، وحيث أنّ مثل هذه الموضوعات لا ارتباط لها بتأريخ القرآن، فإنّ التعرّض لها ها هنا موجب للخروج عن الموضوع.

دراسة ريجيه بلاشير[٣٠]

نُظّمت السور في ترجمة (بلاشير) طبقاً لترتيبها التاريخيّ، ويختلف هذا الترتيب في بعض النواحي عن طريقة (نولدكه) ومنهجه، وقد تبنّى (بلاشير) ما قدّمه (نولدكه) من المراحل المكيّة الثلاثة للوحي، واختلف معه في بعض النواحي، كالنواحي التالية :

فقد جعل (بلاشير) سورتا الذاريّات والقلم من السور النازلة في بداية المرحلة الثانية للوحي المكيّ، بينما اعتبرها (نولدكه) من سور نهاية المرحلة الأولى.

والاختلاف الثاني بينهما يرجع إلى أنّ بلاشير جعل سورة الإنسان من المرحلة الأولى للوحي المكيّ[٣١].

والاختلاف الثالث بينهما هو في سورة الإسراء فقد جعلها (بلاشير) من سور المرحلة الثالثة المكيّة إلا أنّ (نولدكه) ذكرها ضمن سور المرحلة الثانية ويذكر (بلاشير) عند توجيهه وبيانه لهذا الاختلاف في ترتيب السور في المرحلة الأولى المكيّة ما يلي:

«لقد رجّحت جمع السور المتشابهة في موضوعاتها في طبقات مستقلّة، ومن ثمّ رتّبت هذه الطبقات بشكل متتالي بناءً على الانسجام والتشابه فيما بينها وبالالتفات إلى سيْر رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله»(٣٢).

وهذا التقسيم الذوقيّ الذي لا أساس له، قد أوقع (بلاشير) في العديد من الإشكالات حول تقسيم بعض السور ووضعها في طبقات معيّنة وبالتالي كيفيّة إرجاعها إلى المراحل التاريخيّة المختلفة.

ولذا فالمنشأ الأساس لخطئه في تأريخ القرآن أنّه لم يذكر أيّ توجيهٍ تاريخيّ أو علميّ في تنظيم السور وتغيير أماكنها.

خصائص السور في المرحلة الأولى للوحي المكيّ

وكما هو الحال مع (نولدكه) قام (بلاشير) بوضع خصائص لطبقات السور في مراحل الوحي المكيّ والمدنيّ، وجعلها الملاك للفصل بين السور في كلّ طبقةٍ عن الطبقات الأُخرى:

أولاً: تقارن نزول الوحي المكيّ مع الشروع في العبادات وإحياء الليل والدّعاء، وربَّما يعود هذا الأمر إلى أنّ المسلمين الأوائل شعروا بالحاجة إلى جمع السور الخمس المشتملة على العبادات والأدعية، وإحدى هذه السور سورة الحمد المعروفة بفاتحة الكتاب، حيث أنّ الإسلام فتح باب العبادات بهذه السورة.

ثانياً: تتركّب آيات هذه المرحلة من ناحية السبك عموماً من ستّ إلى عشر كلمات.

ثالثاً: تنتهي الآيات بنغمٍ غنيّ وجميل جداً، وغالباً ما تنتهي الآيتان أو الثلاثة بسجعٍ واحد كما هو الحال في سورة المرسلات(٣٣).

إنّ كلام (بلاشير) حول سورة الفاتحة وأنّها من السور الخمس النازلة في أوائل الوحي المكيّ، وأنّ باب العبادة شرع في الإسلام بنزول هذه السورة، يتناقض بشكلٍ واضحٍ مع ما ذكره في جدول نزول السور من أنّها السورة الخامسة والأربعون من حيث النزول، وأمّا الخصائص الأخرى التي ذكرها بلحاظ السبك والشكل الظاهريّ للآيات فلا تُعدّ ملاكاً دقيقاً لتعيين المقاطع الزمنيّة للسور القرآنيّة.

خصائص السور المكيّة في المرحلة الوسطى

أولاً: في المرحلة الثانية للوحي المكيّ أُنزل اثنتا وعشرون سورة أولّها سورة (الكهف) وهي طويلة بالنسبة لغيرها، وآخرها ينتهي بسورة (النجم).

ثانياً: هذه السور تفصيليّة وفيها مطالب متنوّعة.

ثالثاً: يُلاحظ في سورة (الرحمن) إسناد صفتيّ الأزليّة والأبديّة إلى الله تعالى.

رابعاً: ظهور البون البعيد في الأصول العقائديّة للمجتمع الجديد في مكّة، الذي يَعتمد مرجعيّة التعاليم القرآنيّة مع الاتّجاهات المخالفة له، وبالتأمّل في الآيات: ٨١، ٨٢، ٩١، ٩٢ من سورة «المؤمنون» نُدرك بشكلٍ كامل وجود هذا الاختلاف الفكريّ بينهما.

خامساً: من حيث المضمون، فإنّ آيات هذه المرحلة تجيب على إهانات الكافرين وإسائتهم وتبيّن لهم الحقائق بالدّليل والبرهان[٣٤].

والجدير ذكره ها هنا أنّ هذه الخصائص المذكورة للسور المكيّة في المرحلة الوسطى مقبولة وخالية من الإشكال في رأينا.

خصائص المرحلة الثالثة للسور المكيّة

أولاً: تختصّ هذه المرحلة الثالثة باثنتي وعشرين سورة أيضاً، ولا يُلاحظ أيّ اختلاف رئيسيّ بين سور هذه المرحلة وسابقتها من حيث المحتوى والأسلوب. مضافاً إلى هذا فإنّ بعض التعابير في هذه المرحلة يشبه محتوى الآيات النازلة بعد سنة ٦٢٢

ميلادية، وخاصّة تلك الآيات النازلة في السنوات الثلاث الأخيرة للإقامة في مكّة.

ثانياً: امتاز لحن خطاب الآيات بالموعظة والنصح، وهذا الأسلوب وإن استُعمل في المراحل السابقة، إلا أنّه قد امتاز عنها في المرحلة الثالثة بتعميم الخطاب لكلّ أفراد المجتمع ولم يعد يختصُّ بجماعة خاصّة من المخاطبين.

ثالثاً: اتّبعت بعض السور في هذه المرحلة التقسيم الثلاثيّ: (المقدّمة، الموضوع والنتيجة). وفي هذا إشارة إلى انتشار الوحي بشكل تام، وقد نشأ هذا التطوّر من إحساس النبيّ صلى الله عليه وآله بالحاجة لبعض الأمور في دعوته، كما أنّه اضطّر أحياناً إلى إقتلاع الشوائب الموجودة في المجتمع[٣٥].

وهنا نُشير إلى أنّ الخصيصة الأولى والثانية تطابقان مع الواقع بشكل نسبيّ، ويمكن الحكم بصحّتهما. وأمّا الخصيصة الثالثة فهي قابلة للمناقشة لجهة أنّ القرآن الكريم لمّا كان يعتمد في أسلوبه البيانيّ على الموعظة والخطابة، وكانت أهمُّ أهدافه المستمرّة هداية العباد. فليس من الضروريّ أن نتوقّع وجود (مقدّمة، موضوع ونتيجة) بشكلٍ مستقلٍ في كلّ واحدة من السور، وبالتالي فإنّ هذا الاستنتاج غير صحيح، وكذلك الحال في التحليل الذي قدّمه (بلاشير) حول الملازمة بين وجود مثل هذا التقسيم والانتشار الكامل للوحي فإنّه تحليل ذوقيّ يستند إلى رأيه الشخصيّ فقط.

نزول الوحي في المدينة

تشكّل الآيات المنزلة على النبيّ صلى الله عليه وآله طيلة عشر سنوات في المدينة ما مجموعه ٢٤ سورة طويلة وقصيرة، وقد تكرّر في هذه السور الأمر بلزوم إطاعة الله ورسوله، وتمتاز أيضاً بطول الآيات والتشابه في أواخر كلماتها من حيث الإيقاع ممّا يلفت الناظر إليها.

ويَلحظ في هذه المرحلة أيضاً بعض الآيات الكبيرة وبحدود ١٢ سطراً من أجل تبيين بعض الأحكام الفقهيّة.

وبشكلٍ عام فإنّ الآيات المدنيّة تُشير ـ سواء بلحاظ السبك أو الأسلوب وكذلك من حيث الموضوعات التي تطرحها ـ إلى الارتباط الدائم والتناسق الكامل للقرآن مع الاحتياجات الواقعيّة للناس في ذلك الوقت والتي لم يكن لها وجود في السابق[٣٦].

إنّ أكثر الخصائص التي ذكرها (بلاشير) هنا صحيحة، إلا أنّ النقاش معه يقع في خصوص مدّعاه الأخير بأنّ كلّ آيات القرآن وسوره تتلاءم مع الاحتياجات الواقعيّة للناس، ولا اختصاص لذلك بالسور المدنيّة فقط، بل لاحظَ ذلك أيضاً في الوحي المكيّ. ولذا كان من اللازم على هذا المستشرق الباحث في للقرآن ولإثبات صدق دعواه أن يُشير على الأقل ولو إلى مثال واحد من الآيات والأحكام المنزلة في مكّة يُثبت فيه ويوضّح السبب في عدم ملائمتها معَ المخاطبين بها في مكّة.

دراسة جريم

ألّف (هيوبرت جريم)[٣٧] ما بين سنة ١٨٩٢م و١٨٩٥م كتاباً بعنوان (محمّد) بنى فيه أيضاً على المعايير الثلاثة المختارة عند (دايل) و (نولدكه)، وقد اختار في كتاباته عن حياة النبيّ محمّدﷺ أسلوباً مستقلاً في التحقيق مركّباً من تاريخ جمع وتدوين القرآن وتعيين تاريخ النزول وزمان الوحي وزمان نزول السور.

ويُبدي (جريم) اهتماماً بالغاً بالسنّة النبويّة، فقد اعتمد في ترتيبه للسور القرآنيّة على الروايات والنصوص الإسلاميّة، ولأجل عدم قطع الارتباط بين السور القرآنية والأخبار والروايات أو حصول التقطيع والفصل فيها قام مجدّداً بتقسيمها إلى ثلاث طبقات اثنتان منها مكيّة والثالثة مدنيّة. فذكرَ في الطبقة الأولى المكيّة تلك السور التي تتكلّم عن التوحيد والقيامة وحياة السعادة والشقاء. واختيار الإنسان أو عدم اختياره بالنسبة للإيمان بالمبدأ والمعاد.

وأمّا في الطبقة الثانية منها فقد ذكرَ أنّ سورها يقلّ فيها الأسلوب الموزون، وأنّها تحتوي على ذكر النعم الإلهيّة وأخبار الماضين وقصصهم، وقد امتاز هذا القسم بالكلام

عن الرحمة واللطف الإلهيّ، واستُعمل فيها اسم (الرحمن)، وبرز فيها وحي (الكتاب)، وبيّن فيها قصص الأنبياء الماضين الذين كانوا يتلقّون الوحي.

وأمّا الطبقة الثالثة المدنيّة فقد بيّن فيها غالباً السور المشتملة على الأحكام[٣٨].

وحيث أنّ (جريم) اهتمّ اهتماماً بالغاً في ترتيبه للقرآن بالاعتماد على أسلوب القرآن، أيّ أنّه جعل المعيار والملاك في تقسيم السور والآيات قائماً على سبك العبارات واللحن ونغَم الكلمات فقد جاء ترتيبه لذلك ذوقيّاً، ومن جملة هذه الذوقيّات أنّه جعل سورة (تبّت) أوّل سورة من حيث النزول و(العلق)/السورة الثانية عشر، وأمّا (الفاتحة) فهي في المرتبة التاسعة والسبعين، وكذلك اعتبر سور (الإنسان)، (الرحمن)، (الحج)، (الرعد) و(البيّنة) في عِداد السور المكيّة.

ونُلاحظ أنّ هناك ارتباطاً بين الطبقات التي ذكرها والطبقات (نولدكه) وتقسيماته، بل أحياناً يتّفقان في الرأي أيضاً. إلا أنّ (جريم) ورغم كلّ جهوده بقيَ وكغيره من المستشرقين ضعيفاً في امتهان الروايات وعاجزاً عن تشخيص الصحيح المعتبر من الضعيف غير المعتبر، وبالتالي نَلحظ استناده أحياناً إلى الروايات الضعيفة والأباطيل من الأخبار[٣٩].

وبعبارة ثانية، فإنّه لم يَبذل الجهد اللازم في تمحيص الروايات وتشخيص الصحيح من السقيم فيها، ولهذا لم يكن نزيهاً في ترتيبه للقرآن، فرتّبها على أساس ضعيف يعتمد فيه على سلسلة من الروايات الضعيفة والمردودة أحياناً والمجهولة أحياناً أُخرى.

وحيث أنّه لم يلتزم بشكلٍ دائم الاعتماد على الروايات فقد سار على نظريّة (نولدكه) فوافقه الرأي في الكثيرٍ من الموارد، خاصّة في تبيين مراحل إنزال الوحي القرآنيّ.

وقد عرض (جريم) نظامه وترتيبه في الجزء الثاني من كتابه (محمّد) ويُمكن اعتباره في الحقيقة صورةٌ أخرى عن التأريخ الذي قدّمه (نولدكه).

نعم لا بدّ من الإشارة إلى أنّ تحليل (جريم) عن أنواع المضامين المستعملة في القرآن يُعتبر مفيداً، إلا أنّ آرائه حول النتائج العامّة لعقائد التوحيد والمعاد وغيرها لم تحظَ بالقبول عند الجميع وشكل هذا سببا لسقوطها عن الاعتبار[٤٠].

دراسة ريتشارد بل

قدّم (ريتشارد بل)[٤١] ترجمةً بليغةً للقرآن الكريم، وأرفقها بتوضيحات في مجلّدين باللغة الانكليزيّة، وقد سعى فيهما وفي إطارٍ نقديّ إلى تجديد ترتيب القرآن ونزوله، مع أنّه لم يذكر في هذا الكتاب التعليقات التي تُثبت آرائه ونظريّاته حول كيفيّة ترتيب السور، إلا أنّه في سنة ١٩٥٣ ميلاديّة نشر كتابه (مقدّمة القرآن)[٤٢] المكمِّل لترجمته السابقة، وقد احتوى هذا الكتاب على ثمانية فصول:

١ـ الدور التاريخيّ لمحمّد صلى الله عليه وآله.

٢ـ أصل القرآن، ومسألة جمع القرآن ورواياته.

٣ـ شكل القرآن وصورته.

٤ـ سبك القرآن وأساليبه البيانيّة.

٥ ـ ترتيب وتنظيم السور.

٦ـ ترتيب النزول، وقد أنكر (بل) في هذا الفصل أي أهميّة للروايات التي تعرّضت لترتيب النزول، وتعرّض في هذا المجال بالذكر لنظريّات (نولدكه)، (موير)، (بلاشير)، (هرشفلد)، (جريم) و (رودول)، ومن ثمّ قام بنقد النتائج التي توصّل إليها (نولدكه) في تعيين ملاكات ترتيب النزول وطبقات السور.

٧ ـ مراحل تكميل القرآن.

٨ ـ محتويات القرآن ومضامينه (الشاملة للتعاليم والقصص والأحكام).

وقد خالف (بل) في هذا الكتاب الرأي القائل بأنّ نزول الوحي كان دائماً على شكل سورةٍ كاملةٍ، وذهب في ذلك إلى الاعتقاد بأنّ الوحي كان ينزل في قالبٍ من

الآيات الصغيرة وفي أغلب الأحيان كان ينزل على شكل آية واحدة أو آيتان أو ثلاثة آيات. ولم يذكر أيّ دليل لإثبات هذا المدّعى مع أنّ نزول بعض السّور القرآنيّة بشكلها الكامل دفعةً واحدةً ثابتٌ إجماعاً.

وبناءً على ما استدلّ به فإنّ التأريخ المناسب للآيات القرآنيّة لا بدّ وأن يتلائم وينسجم مع هذه الوحدات الصغيرة من النزول. وقد قام بتقسيم السور بتركيبها الحاليّ وبشكلٍ فرَضيّ إلى الأجزاء المشكِّلة لها، ومن ثمَّ سعى وبأسلوبٍ تحليليّ معقّد إلى تقديم تأريخٍ محدّد لكلّ واحدٍ من تلك الأقسام.

وفي بعض الموارد ذهب إلى القول بأنّ بعض الأقسام تشكّل مجموعةً واحدةً من الوحي، ولكنّه التفت فيما بعد إلى أنّها مستقلة عن بعضها البعض بالكامل وقد أُدرجت في سورٍ مختلفة، إنّ مثل هذا الاستنتاج يَتلائم مع نظريّته القائلة بأنّ القرآن كان دائماً في معرض التجديد والتنقيح.

وقد كان يظنُّ أيضاً بأنّ بعض أقسام القرآن لربّما كانت مكتوبةً وراء الصفحات التي كُتبت عليها أقسامٌ أُخرى منه، وأنّ إدراج الآيات في السور يعود في الواقع إلى تلك الأقسام، ولربّما يكون هذا الخلط ناشئٌ من عمل الكتّاب الذين كانوا يَستنسخون تلك الأوراق بأسلوبٍ فنيّ دون أدنى ملاحظة لمفاهيم تلك الآيات[٤٣].

لقد قام (ريتشارد بل) في أغلب الأحيان بتبيين النظام المعتَمد الذي وضعه كمعايير للفصل، واكتفى بإبداء الآراء العامّة، فقسَّم السور القرآنيّة على أساس استنتاجاته الشخصيّة إلى أجزاء محض ذوقيّة واستحسانيّة بحيث أبعدَ عن بعضها بعض الآيات الخاصّة بها، واحتفظ بحواشي بعض الأوراق الأُخرى وما ورائها مع أنّه قرَّر مسبقاً وضعها جانباً. ولم يبيِّن (بل) أيّ دليلٍ مقنعٍ على هذه النظريّة، ويبدو أنّه استعمل مصطلح «القرطاس والورق» ولتقييم رأيه في أيّ شيءٍ يُمكن استعماله في الكتابة.

ويذكر «بل» بعض الأمثلة على النقل المذكور للآيات كالآيات (١٦ إلى ١٩) من سورة القيامة، والآيات (١٦ إلى ١٩) من سورة الانشقاق، والآيات (١٧ إلى ٢٠) من

سورة الغاشية، وبالنسبة لهذا المورد الأخير يرى إنّ هذه السورة ابتدأت بوصف القيامة وبيان مصير الفاسقين ثمّ تعرّضت لوصف الأتقياء». ومن الواضح أنّ الآيات (١٧ إلى ٢٠) لا ارتباط لها بما قبل وبما بعد وهي مختلفة عنها من حيث السجع والقافية والفاصلة.

وافترض (بل) في هذا المورد بأنّ هذه الآيات إنّما أُدرجت في هذا الموقع لأنّها كانت مكتوبةً في ظهر الصفحة التي كُتبت عليها الآيات (١٣ إلى ١٦) والمتمايزة من حيث السجَع والفاصلة من الآيات السابقة عليها، والتي كانت قد أُضيفت فيما بعد على ظهر الصحيفة المشتملة على الآيات (١٧ إلى ٢٠).

وعلى كلٍّ حال فإنّ «بل» ادّعى أنّ هذه النظريّة التي توصّل إليها من أنّ القرآن قد نُظّم في الأغلب ورُتّبَ بناءً على هذا الواقع المفترض لكتابة العبارات والكلمات وراء العبارات والكلمات الأخرى، تسري في القرآن الكريم كلّه.

وهنا يُمكن القول بأنّ حدس (بل) هذا أمر ممكن الوقوع عقلاً، إلا أنّه ليس من الغريب أن لا يحصل الشكّ أو سوء الظنّ لدى بعض من قام بجمع القرآن وتدوينه - على الأقل في بعض المراحل - لمجرّد ملاحظته عدم توالي المعاني أو ضعف المفاهيم، وبعبارة ثانية من الممكن أن يظهر في بعض السور مثل هذا الضعف في المفاهيم إلا أنّه لا يلزم أن يكون ناشئاً عن كتابة الآيات وراء الآيات الأخرى.

ومن ثمّ ذهب (بل) إلى أنّ نقطة البداية في النظر إلى القرآن ككتاب مقدّس - مع الأخذ بالاعتبار أنّه دُوِّن في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله - ترجع إلى مرحلة معركة بدر؛ حيث اعتبر أنّ هذه المعركة شكّلت نقطة عطف في حياة المسلمين، وبالتالي لا يَعتبر حادثة الهجرة معياراً للفصل والتمييز بين طبقات السور القرآنيّة.

وفي الواقع فإنّ (ريتشارد بل) لم يطرح نظاماً دقيقاً لتأريخ النزول، غاية الأمر أنّه استنسب وبشكلٍ عام تقسيم عمليّة جمع القرآن إلى ثلاث مراحل رئيسيّة:

المرحلة الأولى، ترتبط بالعبارات المشتملة على (الآيات) والتكاليف والأوامر

المتعلّقة بعبادة الله، وتُشير في أغلبها إلى مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة. وما بقي من أجزاء ناقصة أو مواضيع متفرّقة بين في مراحلَ أُخرى.

المرحلة الثانية أو مرحلة (القرآن) وهي تشمل أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة والسنتان الأُوليتان لحركته في المدينة، وقد سعى النبيّ صلى الله عليه وآله في أثنائها إلى تبيان المسائل الدينيّة والعباديّة.

المرحلة الثالثة أو مرحلة (الكتاب) وترتبط بسيرة النبيّ وحركته في المدينة، وتبدأ من أواخر السنة الثانية من الهجرة والتي كان النبيّ صلى الله عليه وآله فيها بصدد تدوين القرآن بصورة (كتاب).

ومن المتيقّن أنّنا لا نتمكّن من إيجاد هذه المراحل الثلاثة في القرآن الموجود بشكل دقيق وتفصيليّ؛ لأنّ الأقسام المشتملة على (الآية) أُدرجت بالتدريج ضمن مجموع الأمور العباديّة. وأمّا المرويّات الشفهيّة السابقة فقد كانت مورداً للجرح والتعديل وبهذا وجدَ قسمٌ من الكتاب المدوّن[٤٤].

إنّ أهمّ إشكال يرد على نظريّة (بل) يَرجع إلى افتراضه وبشكل جزميّ وجود التمايز بين مرحلة (القرآن) ومرحلة (الكتاب)، دون أن يكلّف نفسه عناء تفسير وإثبات هذا التمايز وكيفيّة حصوله، مع أنّ مصطلح (القرآن) ورد كمرادف لمصطلح (الكتاب) في العديد من الآيات كما هو الحال في الآية الأولى من سورة فصّلت، باستثناء بعض الموارد التي أُريد فيها من كلمة القرآن معنى القراءة أو شيئاً آخر.

دراسة ويليام موير

يعتقد (موير)[٤٥] بأنّ أيّ جهد وسعي يُقدّم في مجال الترتيب التاريخيّ والطبيعيّ للسور لن يُنتج سوى نتائج تقريبيّة وحدسيّة، نعم هناك بعض الخصائص والمعايير الخاصّة التي لا بدّ من ملاحظتها لتكون النتائج المتوصّل إليه أقرب إلى الواقع، وهي كالتالي:

الأوّل: أسلوب السور وسبكها، فالسور ذات اللغة القويّة والحادّة والحماسيّة ترتبط بالمرحلة الأولى لنزول الوحي، وأمّا السور العاديّة والمشتملة على النثر، والنقل، والقصص، فإنّها ترتبط بالمرحلة الثانية من الوحي، وأمّا السور التشريعيّة التي تحتوي على البعث والتكليف فإنّها ترتبط بالمرحلة النهائيّة منه[٤٦].

إنّ هذا المعيار الذي اعتمده (موير) غير صحيح، فمن الخطأ حصر مرحلة نزول الأحكام الشرعيّة بالمرحلة المدنيّة وبالمراحل الأخيرة لنزول الوحي؛ وكمثال على ذلك يكفي أن نُلاحظ سورة الأعراف فإنّها نزلت في مكّة، وترتبط الآيات من ٣١ حتى ٣٣ منها بالحلال والحرام، الزينة، الفواحش وأمور أُخرى. وكذلك الحال في الآيات من ١٤١ إلى ١٤٦ من سورة الأنعام فإنّها تضمّنت الحكم الشرعي المتعلّق بالمأكل والأنعام، وبيّنت الحلال والحرام منها.

الثاني: بلحاظ المحتوى والمضمون، فإنّ المضامين الرئيسيّة في المرحلة المكيّة كانت مخاطبة عبدة الأصنام واليهود والنصارى في تلك المنطقة، بينما في المدينة كان الخطاب مختلفاً مع أهلها المظلومين والمضطّهدين.

الثالث: ملاحظة الإشارات الخاصّة التي تُشير إلى بعض المراحل التاريخيّة المفصليّة في بعض السور والتي يُمكن على أساسها تعيين مراحل نزولها الزمنيّة.

الرابع: إنّ قسماً مهمّاً من السوَر وخاصّة الطوال منها يتضمّن مقاطع من الوحي المتعلّق بالمراحل المختلفة لحياة النبيّ صلى الله عليه وآله. نعم قد نجد في بعض الموارد بعض السوَر التي لا يُمكننا من خلال ملاحظة تركيبها وتأليفها من تعيين مراحل نزولها بشكلٍ دقيق.

بل قد نرى أحياناً في بعض السوَر والتي تُدرج ضمن السور المدنيَّة بعض الآيات التي ترتبط من حيث النزول بمرحلة زمانيّة قديمة في مكّة، وبشكلٍ عام فإنّ بعض الأجزاء القرآنيّة المنزلة تفتقد لأي خصيّصة أو معيارٍ يُمكن من خلاله تعيين زمان نزولها، ويترتّب على ذلك اللجوء لتعيين وتحديد مرحلتها التاريخيّة والزمانيّة إلى الحدس والافتراض.

وانطلاقا ممّا تقدّم فإنّ السور القرآنيّة تنقسم إلى ستّة طبقات خمسة منها مكيّة والسادسة مدنيّة.

الطبقة الأولى وتشمل ثمانيةٌ عشرَ سورة: العصر، العاديات، الزلزلة، الشمس، قريش، الفاتحة، القارعة، التين، التكاثر، الهمزة، الانفطار، الليل، الفيل، البلد، الشرح والكوثر.

وتمام هذه السور قصيرة وذات لغة حماسيّة، والبعض منها مؤلّف فقط من سطر أو سطرين، ومن المحتمل أن تكون هذه السور مصاغة وموضوعة قبل بعثة النبيّ بالنبوّة أو قبل نزول الوحي عليه؛ لأنّنا لا نجد في أيّ واحدةٍ منها أي شيءٍ من لغة الوحي الإلهيّ[٤٧].

إنّ الإشكال الرئيسيّ الذي يرد على (موير) هنا يرجع إلى أنّ هذه الدعوى منه لا تَعتمد على بيانٍ أو برهانٍ واستدلال، أو على الأقل لا نجده يحشد لها بعض الشواهد التي تُثبتُ ذلك، فهو يدّعي بأنّ تمام هذه السور الثمانية عشر لا يوجد فيها أي شيءٍ من طريقة الوحي والرسالة الإلهيين، ولذا يَحتمل ـ على حدّ رأيه ـ رجوعها إلى ما قبل البعثة النبويّة، ولا نَعلم على أي أمر اعتمد في اعتباره لهذه السور متعلّقةً بما قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله.

نعم، غاية ما ذكره يَرجع إلى اعتباره قِصَر هذه السور ولغتها الحماسيّة الخصيصة المشتركة بين هذه السور. ونقول في الجواب عن ذلك، إنّ هناك غير هذه السور أيضاً تحتوي على ما ذكره من الأوصاف وقد اعتبرها (موير) نفسه بأنّها سور قرآنيّة تندرج ضمن الطبقات اللاحقة من النزول، ومن جملتها سورة الناس والفلق والمسد والقدر، وبعبارةٍ أُخرى، فإنّ الملاحظ في كلام (موير) نوعاً من التناقض حيث أنّه ينفي قرآنيّة سور الطبقة الأولى بينما يُثبت لباقي السور القرآنيّة لونها ونسيجها القرآنيّ وخطابها الإلهيّ، مع أنّ الاعتراف بوحدانيّة باقي السور يَستلزم الاعتراف بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله رسول من عند الله تعالى، ولذا لا بدّ له أن يقبل دعوى النبيّ صلى الله عليه وآله بقرآنية ووحيانيّة كافّة السور[٤٨].

دراسة هرشفيلد

لم يول (هارتفيك هرشفلد)[٤٩] أهميّة للوقائع وتأريخ الأحداث بل قام بتقسيم أغلب السور على أساس المضمون والمحتوى، وتوصّل في النتيجة إلى هذا التقسيم:

١ـ لا يعدُّ سورة «العلق» إلا بمثابة الإعلان[٥٠].

وهذا القول يَستلزم أو يُشعر بالقول بنفي قرآنيّتها، وبالتالي فإنّ هذا الحكم منه ليس إلا استنتاجاً شخصيّاً مبتنياً على أمورٍ ذوقيّة، ولا يزيد عن كونه مجرّد احتمال لا دليل عليه.

لقد صرّح المفسِّرون الشيعة والسنة بالإجماع على أنّ هذه السورة هي أوّل سورة أنزلت من القرآن، ولا يوجد أي ترديد في قرآنيّتها، فالعلامة (الطباطبائي) يرى أنّ هذه السورة هي أوّل سورة من القرآن الكريم وتلقّي الوحي الإلهيّ[٥١].

وذهب (سيّد قطب) في هذا المجال إلى أنّ الآيات الأولى من هذه السورة هي أوّل وحي قرآنيّ باتّفاق كافّة العلماء، وأمّا الروايات التي تَعتبر غير هذه السورة أوّل الوحي فهي غير معتمَدة[٥٢].

وصرّح (الزركشيّ) أيضاً بأنّ أوّل ما نزل من الوحي القرآنيّ بمكّة قوله تعالى ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾، كما أنّ هذا المعنى هو المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام[٥٣].

وأمّا سائر السور القرآنيّة فقد قسمها (هرشفلد) على النحو التالي:

٢ـ السور الإثباتيّة (السور التي تحوي في أغلب آياتها مضموناً عقائدياً مثبَتاً بالبراهين).

٣ـ السور الخطابيّة والوعظيّة.

٤ـ سور الحكايات والقصص.

٥ـ السور التوصيفيّة (حول وصف الجنّة والنار والقيامة).

٦ـ السور التشريعيّة والتقنينيّة (السور المدنيّة الحاوية للمقرّرات والأحكام الفقهيّة والحقوقيّة).

السور الإثباتيّة

لطالما أكّد (هرشفلد) عند بيانه للسور الإثباتيّة على طرح المباحث العقائديّة كالتوحيد والنبوّة، حيث يقول في هذا المجال: إنّ أوّل ما نزل من الآيات في قالب من الألفاظ والعبارات المختصرة يُشير إلى ربوبيّة الله والنبوّة. إنّ هذين الموضوعين العقائديّين الهامّين يرتبطان ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً إلى درجة لا يمكن معها من ذكر أحدهما دون ذكر الآخر، وبعبارة أُخرى، فإنّ الإيمان بأحدهما يستلزم الإيمان بالآخر.

إنّ النبيّ محمّدﷺ عندما تلى على المسلمين سورة (الأعلى) والسورة المنزلة بعدها أي سورة (القلم) لم يكرّر فحسب ذكر أوّل أصلٍ اعتقاديّ ـ الإيمان بالله ـ بل كان يتلقّى أيضاً ما يطمئنه بأنّه واجدٌ للمؤهلات الفرديّة والعناية الإلهيّة الخاصّة.

ومن جملة ذلك أنّه كان وقبل قراءة أيّ آية من القرآن يتأمّل فيها بدقّة ليحيط بها بشكل كامل، ولا شكّ في أنّ هاتين السورتين أُنزلتا تكميلا وتتميماً لسورة (العلق)؛ لأنّ الله الذي أمر النبيّ بالقراءة وتبليغ الرسالة الإلهيّة، قادرٌ على نسخ الآية والإتيان بآيةٍ أخرى مكانها[٥٤].

لقد وصف (هرشفلد) سورة (الأعلى) بأنّها ثاني سورة مكيّة، مع أنّ الوارد في المرويّات الإسلاميّة اعتبارها ثامن سورة أُنزلت من بعد سورة (التكوير) وقبل سورة (الليل)[٥٥].

وكذلك عدّ هذه السورة ـ الليل ـ ضمن السور الإثباتيّة باعتبار أنّ هذه السورة القصيرة تبيّن ربوبيّة الله ونبوّة النبيّ، مع أنّ هذه السورة تتكوّن من حيث المحتوى من قسمين أساسيَّين ففي قسمٍ منها يوجّه الله تعالى خطابه إلى النبيّﷺ آمراً إيّاه بتسبيح الله وأداء الرسالة. وأمّا القسم الثاني منها فإنّه يتكلّم عن المؤمنين الخاشعين والكفّار الأشقياء وعن أسباب السعادة والشقاوة لكلا الفريقين.

وعلى أساس ذلك وبملاحظة القسم الثاني من هذه السورة يظهر عدم صدق العنوان الإثباتي عليها، بل لو بنينا على التقسيم الذي ذكره (هرشفلد) فإنّ هذه السورة لا بدّ وأن تُدرج ضمن السور الوعظيّة.

إنّ المشهور اعتبار هذه السورة من السورة المكيّة، إلا أنّ البعض يعتقد بأنّها مدنيّة، فالعلامة (الطباطبائي) يرى بأنّ القسم الأوّل من هذه السورة مكيّ إلا أن ذيلها مدنيّ حيث تعرّض فيه لذكر الصلاة وزكاة الفطرة، ومن المعلوم أنّ الصوم وما يتبعه من زكاة الفطرة إنّما شرع في المدينة[٥٦].

إلا أنّه ونظراً لكون الآيات الأولى والأخيرة من هذه السورة متشابهة بالكامل من حيث الحروف والمقاطع فمن الصعب القبول بنزولها على قسمين أحدهما في مكّة والآخر في المدينة، وقد ورد في إحدى الروايات أنّ من كان يدخل المدينة المنوّرة من المسلمين كان يقرأ هذه السورة على أهلها[٥٧] وعليه فمن المستبعد أن يقرأ صدر السورة في مكّة ومن ثمّ يَنزل ذيلها في المدينة[٥٨].

ومن ثمّ يتابع (هرشفلد) فيرى أنّه حيث يُحتمل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان مشغول البال في التفكيربتنظيم بعض الكلمات لتكون دعاءً وصلاةً يتقرّب بها المؤمنون إلى الله، وكان همّه تعليمهم كيف يخاطبون الله ليبتعد بهم عن الشرك فقد توافرت أسباب نزول سورة التوحيد.

إنّ من الصعوبة بمكان تعيين مرتبة هذه السورة بدقّة من بين السور الأولى للوحيّ، وهذا ما دفع بعض المحدّثين للاعتقاد بكونها مدنيّة، إلا أنها في نظرنا ترتبط بأوائل السور النازلة على النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ تاريخ نزول السور يبيّن لنا تطوّر الدّين والأحكام الدينيّة عند المسلمين، على الرغم من أنّه لا يوجد أي دليل أو شاهد قطعيّ لتعيين زمان نزول الكثير من السور. وأمّا القواعد والمعايير التي قُدّمت في هذا المجال فلا يُمكن الاعتماد عليها والاطمئنان إليها بشكل تام.

لقد سعى النبيّ صلى الله عليه وآله جاهداً في سبيل إثبات نبوّته وأنّه مبعوث من عند الله، ولإقناع قومه بأنّه ليس بشاعر ولا مجنون ولا كاهن، ولا كاذب. فالمشركون غالباً ما كانوا يتّهمون النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه شاعرٌ؛ لأنّ كلامه شبيهٌ بكلام الكهنة المسجّع، وقد سعى محمّد صلى الله عليه وآله لإبعاد نفسه عن هذه التُّهمة من خلال النأي بكلامه عن أيّ تقليد أو

اقتباس من كلام الشعراء، إلا أنّه ولاطلاعه على خصائص شعرهم كان من الصعب عليه إلى حدٍّ ما الاحتراز عن أسلوبهم.

وكمثال على ذلك فقد ورد في آيات متعدِّدة من القرآن كلمة (ذرني) بمعنى (اتركني وحيداً)، من جملتها ما ورد في الآيّة الرابعة والأربعين من سورة (القلم) حيث يقول: ﴿ **فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ** ﴾، فإنّ الرجوع إلى مثل هذا التفسير في الآيات القرآنيّة يُمكنه أنّ يُعيّن تاريخ نزولها تقريباً؛ لأنّ هذه الكلمة كانت تُستعمل في كلام الشعراء أو بعض الأنواع الخاصّة من شعرهم بمعنى (النصيب) وهو شبيهٌ إلى حد كبير بشعر المشركين. وقد استُخدِمَ هذا التعبير ثلاث مرّات على الأقلّ في المرحلة الأولى لنزول الوحي، ففي الآية المذكورة، وفي الآية ١١ من سورة المزمل: ﴿ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً** ﴾، في الآية ١١ من سورة المدثر: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾.

ولكي يَرفع النبي ﷺ الاتّهام الموجّه إليه بكون القرآن شعراً وكهانةً يُضيف وبلا فصل بعد قوله: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ فيقول: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[٥٩].

هذا ومن المحتمل كون الآيات ٢٢١ وإلى آخر سورة الشعراء ترتبط بتلك المرحلة أيضاً والتي تنتقد الشعراء بشدّة، وأنّهم لا يعملون بما يقولون.

وقال بعض قصيري النظر: إذا لم يكن النبيّ كاذباً ولا شاعراً ولا مجنوناً، إذاً لا بد وأن يكون كاهناً، وهنا في مقام ردّ هذا الاتّهام يقول: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** ﴾[٦٠]. إلا أنّ عدم إجابته على تهمة الكذب لم يكن مصادفةً، إذ أنّه كلّما ازداد عدد المؤمنين به كانت تتّضح أكثر فأكثر إجابته على هذا الاتّهام. وعليه فإنّ هذه الاجابات يُمكن أن تكون معياراً لتعيين تاريخ نزول بعض الآيات والسور[٦١].

أولاً: لم يقدّم (هرشفلد) أي توضيح لكيفيّة اعتبار مثل هذه الردود بمثابة المعيار والملاك لتعيين تاريخ نزول بعض الآيات والسور، ولو كانت كذلك فلماذا لم يعيّن هو بنفسه تاريخ نزولها؟

ثانياً: إنّ مجرّد وجود تشابه بين بعض كلمات الكهَنة والشعراء مع كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وآيات القرآن ليس له أيّ دلالة عقليّة أو قطعيّة على الاقتباس من كلماتهم وتقليدهم. ومضافاً إلى ذلك فإنّ آيات القرآن لا تُعتبر بأي وجه من تأليف شخص النبيّ صلى الله عليه وآله بل هي وحيٌ إلهيٌ فقط ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٦٢].

ثمّ إنّ (هرشفلد) وبعد كلامه المتقدّم يرى أنّ السور التالية هي جزءٌ من السور الإثباتيّة وهي: المدثّر، المزمّل، الإنسان، الشرح، المَسد، الهمزة، النجم، الضحى، الكافرون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، عبس، الطارق، القيامة، المطففين، الغاشية، النازعات، المرسلات، الحاقة، النبأ، الواقعة، الطور، المعارج، العاديات، القارعة، قريس، الماعون، الكوثر، البلد والليل.

الآيات والسور الخطابيّة والوعظيّة

عرّف (هرشفلد) تلك الطائفة من الآيات والسور ذات اللغة الأخلاقيّة والطابع العبوديّ بأنّها من السور الوعظيّة ويَذكر في هذا المجال التالي:

إنّ سورة (التكوير) هي إحدَى أبرز سوَر هذه المرحلة وتمتاز هذه السورة بخصائص فنيّة وأدبيّة جميلة جداً، وتتألف هذه السورة من قسمين لا يَتساويان من ناحية الطول والحجم، إلا أنّ جميع آياتها لها نَغم موزون وذات طابع وعظيّ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾. إنّ البناء الفنيّ لهذه السورة يُشير إلى أنّ مثل هذا الكلام لا يُمكن أن يكون ناشئاً عن حالة من الاضطراب والشعور غير الاختياريّ عند النبيّ[٦٣].

وكما ترى فقد اعتبر (هرشفلد) سورة (التكوير) ضمن السوَر الوعظيّة، مع أنّ مضامين هذه السورة ومحتواها يَشمل قسمين، أوّلهما: التذكير بيوم القيامة وبيان علاماته، وثانيهما: التأكيد على صدق ما يقوله النبيّ صلى الله عليه وآله ويُبلِّغه. وكذلك نفي الجنون عنه صلى الله عليه وآله ومثل هذا النوع من الخطاب والمضمون يتناسب بشكل أكبر مع السور الإثباتيّة والعقائديّة.

إلا أنّ ملاحظة أهم ترد على أصل مبناه هو ما ادّعاه من أنّ سيَر نزول السور القرآنيّة كان على هذا الترتيب:

١ـ السور الإثباتيَّة.

٢ـ السور الوعظيَّة.

٣ ـ السور القصصيَّة.

٤ ـ السور التوصيفيَّة.

٥ ـ السور التشريعيَّة.

مع أنّ مثل هذا التفريع والتقسيم لسَير نزول الوحي القرآنيّ يواجه أسئلةً جديّة وهامّة لا تتّضح إجاباتها اعتمادا على ما توصّل إليه (هرشفلد).

فأيّ دليل يَحتم كون السور الإثباتيّة أولاً ومن بعدها السور الوعظيّة ومن بعدها بقيَّة الأنواع الأُخرى للسور. وكذلك كيف يُمكن تقسيم السور القرآنيّة المتنوّعة من حيث المضامين والموضوعات إلى الأنواع المذكورة؟ وما هو الدليل الذي يُمكن الاستناد إليه عقلاً ونقلاً؟

إنّ ما بيّنه (هرشفلد) لا يعدو كونه إدعاءً بلا دليل، وبالتالي فإنّ الطبقات التي وضعها غير مدروسة ولا تمنع من حصول التداخل فيما بينها.

وبعبارةٍ أُخرى، لو سلّمنا بتماميّة أصل المبنى المذكور الذي ادّعاه (هرشفلد)، إلا أنّه لا يعتبر جامعاً لكافّة السور القرآنيّة، ولا مانعاً من دخول الأغيار فيها، وأوضح مثالٍ على ذلك ما بيّناه في مورد سورة (التكوير).

ويُتابع (هرشفلد) نظريّته ذاكراً بأنّ فرح النبيّ وسروره بسورة (التكوير) بلغ درجةً سعى بسببها وبعد مدّة ليأتي بسورةٍ أُخرى تشابهها وهي سورة «الانفطار» (الآيات ١-١٩) إلا أنّها ليست بجاذبيّة سورة التكوير السابقة عليها. وقد ذكر فيها اسم يوم القيامة مرّتين في الآية ١٥ والآية ١٨ ومن ثمّ بيّن حقيقته في الآية ١٩ حيث يقول: ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ﴾.

وأمّا بعد هذا التاريخ فإنّ النبيّ كان يعتمد عند حديثه عن يوم القيامة ـ في القرآن كلّه وليس فقط في الوحي المرتبط بالمرحلة الخطابيّة والوعظيّة ـ على وصفه بأروع الأوصاف والألقاب، إلا أنّ الآيات التالية هي وحدها مدنيّة من بين جميع الآيات:

الآية التاسعة من سورة التغابن، والآية الخامسة والثلاثين والسابعة والسبعين من سورة التوبة، والآية الرابعة والعشرين، والسابعة والثلاثين، والرابعة والستين من سورة النور، والآية الخامسة من سورة السجدة، والآية الرابعة والأربعين والسادسة والستين من سورة الأحزاب، والآية الثانية عشر والثالثة عشر من سورة الحديد، والآية السادسة من سورة المجادلة، والآية الثانية من سورة التحريم. وعلى أي حال ورغم أن هذه الآيات موزّعة في القرآن كلّه، إلا أنّ نطاقها يرتبط نوعاً ما بمرحلة الوحي الخطابيّ ويُحتمل رجوع بداياتها إلى مرحلة الوحي الإثباتي»[٦٤].

لم يُقم (هرشفلد) أيَّ دليلٍ على تفرّق وتوزيع هذه الآيات في السوَر المذكورة. وكمثال على ذلك فقد اعتبر آياتِ سورة الانفطار التسعة عشر ولمجرّد أنّها تذكر أوصافً يوم القيامة مرتبطةً بأوائل الوحي المكيّ، مع أنّ هذه السورة وبلحاظ ترابط آياتها والنظم الحاكم عليها ككلٍ يُشير إلى نزول آياتها دفعةً واحدةً في أواخر مرحلة الوحي المكي»[٦٥].

ويُضيف (هرشفلد) قائلاً: «إنّ سورة (الانشقاق) تُشابه سورة (التكوير) من حيث السبك والمحتوى وتتعرّض كلا السورتين ليوم القيامة وبيان أوصافه دون ذكر اسمه.

وأمّا سورة (الزلزلة) وإنّ اختصّت بهذا الموضوع أيضاً إلا أنّها أضعف من حيث الكيفيّة، أي إنّ توضيح حال (القيامة) في هذه السورة لا يتضمّن ذلك البعث والتحريك اللازمان، مع أنّه أُشير فيها مرّتان لذلك اليوم»[٦٦].

إنّ هذا الاستنتاج غير صحيحٍ أيضاً؛ لأنّ سورة الزلزلة نزلت في المدينة[٦٧]. هذا أولاً.

وثانياً: إنّ التدقيق فيها يُثبت بشكلٍ كامل عكس ما ادّعاه من أنّ وصف القيامة فيها أضعف من وصفها في باقي السور، فقد وردت فيها أكثر آيات القرآن دقّة وأكملها وأشملها في بيان تجسّم الأعمال يوم القيامة ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾.

وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: علّمني ممّا علمك الله، فدفعه إلى رجل يعلّمه القرآن فعلّمه ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ حتّى بلغ ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾، قال الرجل: حسبي[٦٨].

ودليل هذا القول واضحٌ إذ أنّ من يعلم أنّه سوف يُحاسب على أعماله حتّى ولو كانت بمقدار ذرة أو حبّة خردل، فإنّه سوف يُحاسب نفسه اليوم قبل الغد. وبناءً عليه فإنّ هذه الرواية تدلّ على أنّ آيات سورة الزلزلة لها الأثر التربويّ والتأثير القويّ والكبير جداً على المخاطب بها وقارئها.

وخلاصة الكلام أنّه وعلى الرغم من عدّم صحّة ما ادّعاه وتوصّل إليه (هرشفلد) من هذه السورة يُمكن القول بأنّ أقوى سورة وأشدّها تأثيراً في بيان ووصف يوم القيامة هي هذه السورة بحدّ ذاتها.

ومن ثمّ يذكر (هرشفلد) بأنّنا ههنا نتابع سبكاً آخر من الخطاب الذي يُقسم فيه بالسماء والأرض ومخلوقاتهما، وأفضل مثال على ذلك سورة (الطارق) المشتملة على هذه العبارات المُثيرة للإعجاب ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ** ﴾.

ومن النادر أن نرى اختلافاً في التوصيفات المرتبطة بيوم القيامة إلا في المواضع التي يتمّ فيها تحديد أنواع عذاب أهل جهنّم والتي تُشاهد في تمام مرحلة الوحي الخطابيّ والوعظيّ، ومن ثمّ يرد النبيّ في وصف الجنّة وأنّ فيها الينابيع الملأى بالماء الزلال، وفيها الظلال والفواكه المُشتهاة. ومثل هذه الآيات نجدها في سورة المرسلات، النازعات، المطفّفين والغاشية.

لقد قام النبيّ ﷺ عند توصيفه (للكتاب) باعتماد نمط جديد في اختيار عنوانه واسمه فقدّم لأهل مكّة كتاباً جديداً جذّاباً تتّسم صفاته بالوضوح رغم عدم رؤيتهم له عياناً. إنّ هذا الكتاب يُبيّن مصير كلّ إنسان ولا بدّ أن يُفتح ويُقرأ يوم القيامة، ونشعر ههنا أنّ النبيّ كان يرغب تغيير اسم الكتاب. ففي سورة المطفّفين والتي هي من أواخر السور نراه استعمل أسماء سجين، عليّين، الصحف واللوح.

وفي يوم القيامة يُخرج لكلّ إنسانٍ كتابه حيث يأخذ الصالحون كتابهم بيمينهم وأمّا الفاسقون فيأخذون كتابهم بشمالهم. ومن ثمّ يتمّ تبديل هذا الوصف فسيتبدل الإعطاء للكتاب باليمين والشمال بتقسيم الصالحين والأشرار بين جهة اليمين وجهة الشمال ليذهب كلٌّ فريقٍ إمّا إلى الجنّة أو إلى النار.

وقد ورد مثل هذا الوصف في الآيات (٨، ٩، ٢٦، ٤) من سورة الواقعة، ومع أنّه ذكر أسماء ثلاث مجموعات إلا أنّه لم يحدد مصير سوى اثنتين منها.

والذي أراه بأنّ عدم ذكر المجموعة الثالثة يرجع إلى خصائص الآيات (١ إلى ٢٥) والتي تمتاز بنوعٍ من الخطاب المستقلّ المتعلّق بنفس هذه المرحلة، وبالتالي ولسببٍ غير معلوم أُدرجت ها هنا في ضمن هذه الآيات، ولربّما يرجع السبب إلى أنّ الآية ٧٧ والتي ذُكر فيها الكتاب قد لا يكون المراد به «كتاب المصير» بل النسخة الأصليّة السماوية للقرآن الكريم، ومن بعد ذلك استعمل كلمة «الكتاب» وبشكل مكرّر في هذا المعنى وأصبح موضوعاً يُقسم به ﴿ **وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**﴾. وكذلك فإنّنا نرى في هذه السورة هذه الآيات ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ (الطور ٤٨-٤٩).

والذي يبدو أنّ تلاوة هاتين الآيتين كانت من أجل الدّعوة إلى إقامة الصلاة المفروضة، أو يُحتمل كونها كذلك من أجل إيجاد نوعٍ من التناغم مع الآيات الأُخرى من السورة والمتشابهة معها من حيث السبك والأسلوب.

وكذلك يُمكن إدراج سورة المعارج ضمن هذه الطائفة حيث أنّ جميع آياتها

خُصِّصت لبيان مشاهدَ من يوم القيامة، وهنا مجدَّداً ترسم صورة الأفراد الصالحين في الجهة اليُمنى والأفراد المذنبين في الجهة اليُسرى. وتبتدئ هذه السورة بأسئلة لجوجة ترتبط بالكافرين الذين كانوا يوجّهونها للنبيﷺ، ويَمتاز نوع الخطاب فيِ هذه السورة بأهميّة عمليّة خاصّة حيث أنّها تُوصي بالصلاة والخيرات والصدقات والأمانة والصدق وذلك في الآيات (٢٢ إلى ٣٤) منها. ومن جهة أُخرى يُشهد في هذه السورة الحدّ من الحثّ والحماسة. وتمتاز هذه السورة وغيرها مِن السور كالعاديات والقارعة وقريش والماعون والكوثر بقِصَر آياتها، ثمَّ أنّ هذه السور جميعاً تتعلّق بهذه المرحلة أيضاً[٦٩].

لقد اعتبر (هرشفلد) سورة المعارج السورة التاسعة والعشرين من السور المكيّة، ولم يُوضح لنا سبب الحدِّ من الحماس والحثّ في آياتها، بل لا نَعلم مراده وتعريفه الدقيق للحماس والحثّ. وفي الأساس هل يُمكن اعتبار وجود مثل هذه الخصائص ـ كالحماس والحثّ أو قِصَر السور وطولها ـ ملاكاً ومعياراً للتقسيم والفصل بين الآيات والسور وبالتالي وضعها في طوائفَ خاصّة؟

لقد ادّعى بأنّ سورة المعارج كسور: العاديات، القارعة، قريشن الماعون، والكوثر، تتعلّق جميعها بهذه المرحلة لقِصَر آياتها. إنّ المفهوم من مثل هذا الكلام أنّ احدى الخصائص والعلامات الرئيسيّة للسور الخطابيّة والوعظيّة كون آياتها قصيرة، وهذا المدّعى يتناقض قطعاً مع وجود آيات طويلة نسبيّاً في هذه السور، وكما هو الحال في الآيات (٢٢ و٤٥) من سورة الشورى والآيات (٩٣ و١٥٧) من سورة الأنعام. هذا أولاً؛ وثانياً، لا نجد ـ عقلا ـ أي ملازمة بين الوعظ وقِصَر الجمل في الخطاب، فالله تعالى قادر على هداية عباده ضمن أي أسلوب وبيان.

ويُمكننا القول بأنّ الخصائص والمعايير التي ذكرها (هرشفلد) لتعيين تاريخ نزول السور وتحديد مراحل نزول كلٍّ منها والفصل بينها غير موفق ظاهراً في أغلب مواردها، فمثلاً فيما يتعلّق بسورة (الشمس) والتي يَعتقد أنّها السورة الثامنة والثلاثين من حيث النزول في مكّة، يذكر ابتداءً أنّها لا بدّ وأن تُدرج ضمن السور الوعظيّة

وذلك لوجود القسم في أوّلها، إلا أنّه يُضيف بعد ذلك قائلاً: «وحيث أنّها تعرّضت لذكر قصّة قوم ثمود يُمكن اعتبارها في طبقة السور السرديّة والقصَصيّة، وحيث أنّ مصير قوم ثمود كان معروفاً ومشهوراً عند أهل مكّة، لذا فإنّنا نستنتج قِدم النزول الحتميّ لهذه السورة»، ومن هذه الجهة فإنّ (هرشفلد) لا يعيّن بصورة قطعيّة في نهاية المطاف كون هذه السورة في طبقة السور الوعظيّة أم السور القصَصيّة.

وكذلك نجده يتردّد في مورد سورة التكاثر، حيث أنّه ابتداءً وبتردّد يعلن أنّها من جملة السور الخطابيّة والوعظيّة، إلا أنّه يعقّب فوراً بالقول أنّ قِصَر هذه السورة ينفي تعلّقها بتلك السور الخطابيّة والمرتبطة بأوائل أو أواسط الوحي المكيّ.

نعم إنّ مثل هذا التردّد واعتماد لغة الظنّ والتخمين يُشير بشكلٍ واضح إلى عدم إمكان تعيين تاريخ النزول من خلال البناء على مثل هذه الخصائص الشكليّة والحدسيّة؛ ولا بدّ من الرجوع في ذلك إلى الروايات التي عيّنت تاريخ النزول، وبناءً على ما حَكَمت به هذه الروايات فإنّ سورة الشمس هي السورة السادسة والعشرين وسورة التكاثر هي السورة السادسة عشر من السور المكيّة[٧٠]. مع أنّنا نرى هرشفلد وتبعاً لمبانيه الذوقيّة يعتبر الأولى السورة السابعة والثلاثين، والثانية السورة التاسعة والثلاثين من السور المكيّة.

وأخيراً فقد اعتبر (هرشفلد) سورتا البروج والعصر من السور المتعلّقة بهذه المرحلة أيضاً.

الآيات والسور السرديّة والقصَصيّة

نستنتج من خلال المتابعة الدقيقة للسور القصَصيّة أنّ هذه السور تنقسم إلى طائفتين، تذكر إحداها عدداً من الأنبياء مخصّصةً لكلٍّ منهم عدداً من الآيات، بينما تذكر الطائفة الأخرى منها وبشكلٍ مفصّل قصّة نبيّ أو اثنين من الأنبياء، ومع أنّها لا تذكر بالتفصيل جميع أحوالهما إلاّ أنّها تسلّط الضوء على محورٍ أو محورين من حياتهما، وتُوكل الباقي إلى أمكنةٍ أُخرى من القرآن الكريم. وبناءً على ذلك ترسم

صورة حياة الأنبياء أمثال ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في عدّة مواضع من القرآن الكريم.

إنّ ارتباط القسم الأكبر من السور القصّصيّة بمرحلة الوحي المكيّ يُشير إلى نكتة هامّة وهي أنّ هؤلاء الأنبياء المذكورين كان لهم التأثير الكبير على المباني الكلاميّة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، والأكثر من بين هؤلاء هو النبيّ موسى عليه السلام الذي ورد اسمه في عشرين موضعاً تقريباً. ومن ثمّ ابراهيم عليه السلام وقد ورد في خمسة عشر موضعاً، وكذلك نوح ولوط وشعيب عليهم السلام من سبع إلى عشر مواضع لكلٍّ واحدٍ منهم.

إنّ أقدَم السور القصصيّة هي سورة (القمر) والتي تبتدئ بإحدى خصائص الوحي في المرحلة الخطابيّة والوعظيّة حيث تقول ﴿ **اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ...** ﴾. ومن ثمّ تذكر قصّة نوح وعاد وثمود وتبيّن بشكلٍ دقيق عصيان ثمود وعذابها.

وقد قُسّمت هذه القصص إلى قسمين، وذكرت في أواخر كلٍّ منهما هذه الآيات: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ** ﴾[٧١].

وأمّا سورة «الصافات» فإنّها تبتدئ أيضاً بمقدّمة خطابيّة تماماً، لتُثبت بعد ذلك وحدانيّة الله، ومن بعد ذلك تذكر الكافرين الذين كانوا يعتقدون بأنّ الموت هو نهاية كلّ شيء والذين لم يَعتنوا بالآيات الإلهيّة ﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾[٧٢]. وقد دفع هذا الاتّهام النبيّ صلى الله عليه وآله ليبيّن وبشكل آكد نعيم الجنة وعذاب جهنّم.

وبعد هذه المقدّمة الوعظيّة يعود ليُتمّ الموضوع الرئيسيّ بشكل قصصيّ، فتذكر ابتداءً قصّة نوح عليه السلام بشكلٍ مختصر، ثمّ تذكر قصّة ابراهيم عليه السلام وأصنام أبيه. وها هنا تذكر قسماً من حياة ابراهيم بنحو مختلف عمّا ذكرته في سورة الشعراء، حيث إنّ لحن الكلام فيها كان نموذجيّاً ومؤثّراً بينما في سورة الصافات كان بشكلٍ قصصيّ واستعراضيّ، فابراهيم عليه السلام يهين الأصنام وعبّادها، ونتيجةً لذلك يُلقى في النار ويتدخّل الله فيُنجي ابراهيم منها ومن ثمّ يدعو الله فيبشّره بوليدٍ، وفي عالم

الرؤيا يُؤمَر بذبح ولده، إلا أنّه يُعفى في نهاية الأمر من تنفيذ هذا العمل الفجيع و... بسبب إطاعته لله يُثاب على ذلك، وكذلك تُتابع هذه السورة ذكر قصّة موسى وهارون والياس(٧٣).

لقد جعل (هرشفلد) سورة الصافات السورة الخمسين من السور المكيّة، ومع أنّها تبتدئ بمقدّمة طويلة ووعظيّة بالكامل إلا أنّها وبلحاظ تعرّضها لقصّة ابراهيم ونوح عليهما السلام فقد عدّها من السور القصصيّة.

إلا أنّ هذه السورة وبحسب روايات النزول تُعتبر في المرتبة السادسة والخمسين من السور المُنزلة في مكّة. وعلى رغم نقلها لعدد من القصص إلا أنّ محاورها الأصليّة تدور حول مواقف العرب وعقائدهم وكلامهم والمناظرات التي قامت بين النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله والكافرين، وكذلك مصير المخلصين والكافرين يوم القيامة(٧٤)، ومع ذلك فلم يلحظ (هرشفلد) هنا سوى الخصيصة القصَصيّة في هذه السورة. ومن ثمّ فقد عرّف هذه السور على أنّها من السور المنزلة في هذه المرحلة وفي نفس الطبقة بالترتيب التالي: ص، النمل، القصص، الحجر، الكهف، يوسف، مريم، الأنبياء، ابراهيم، طه، هود، سبأ، الأعراف، الإسراء، غافر والفاتحة.

السور التوصيفيّة

يرى (هرشفلد) أنّه وبعد إتمام نزول السور القصَصيّة بدأت مرحلة نزول طائفة أُخرى من السور تعرّضت لوصف ظواهر الطبيعة. وفي هذا المجال يقول:

«إنّ الخصيصة التوصيفيّة في القرآن ترجع إلى أوائل الوحي تقريباً، رغم أنّها لم تحظَ باهتمام يُعتنى به حتّى أواخر مرحلة الوحي الوعظيّ، فعندما فَقَدَ نَظم النبيّ وأسلوبه في مرحلة الوحي القصصي جاذبيّته، برزت هذه الخصيصة بشكلٍ لافت».

إنّ من غير الممكن وضع حدٍ فاصل بين الوحي التوصيفيّ وغيره من أنواع الوحي السابق؛ لأنّ الكثير من الآياتِ الواجدة لهذا الوصف قد وزّعت ضمن السور القصَصية، ومع ذلك فالمتيقَّن به أنّ الوحي المتعرّض لوصف الطبيعة ومواهبها على أنّه

أهمٌ موضوع فيها قد أُنزلت في أزمنة متأخِّرة.

ورغم الاختلاف الكبير بين الوحي التوصيفيّ والوحي القصَصي، إلا أنَّهما يشتركان في أمرٍ هام وهي تصدّيهما لبيان الآيات الإلهيّة، أي أنهما ذكرا هذه الآيات لتكون بديلاً عنِ المعجزات التي لم يتمكّن النبيّ من القيام بها، والذي يَظهر لنا أنّ النبيّ أراد بذلك أن يُحدِّثهم عن الكثير من الآيات والعلامات التي تدلّ على سِعَة القدرة الإلهيَّة.

إنّ دائرة الأوصاف محدود نسبيًّا، فتعداد ما تعرّض له الوحي الوصفيّ أقلّ بالنسبة للطبقة السابقة عليه، ولو غَضضنا النظر عن الإشارة السريعة إلى الخلق والتي تعرَّضت لها الآيات في مرحلة الوحي الأولى، فإنّ أقدم الآيات التوصيفيّة استُخدمت في سورة وعظيّة أي في الآيات ٢٤ إلى ٣٢ من سورة عبس: ﴿ **فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبّاً ... مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾، وكذلك الآيات ٢٥ إلى ٢٧ من سورة المرسلات: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ...** ﴾ وكذلك الحال في القسم الأخير من سورة النازعات حيث يصف السماء والأرض والليل والسحر والماء والمراتع والإنسان والدواب[٧٥].

وكما نرى ونشاهد فإنّ (هرشفلد) لم يُقدّم أي دليلٍ لإثبات ما ادّعاه من قِدم هذه الآيات التوصيفيّة في القرآن بل رتّب كلَّ ذلك على أساس الوهم والحدس الشخصيّ.

ثمَّ يذكر (هرشفلد) أنّ سورة (نوح) تشتمل على وصف حقيقيّ نسبيّاً عن الطبيعة وقد نسبه النبيّ محمّدﷺ إلى النبيّ نوح عليه السلام، ولو أغمضنا النظر عن أوائل السورة ذي الإسلوب القصَصي فإنّ القسم الأكبر منها يتحدّث عن دعاء نوح ويشرح فيها جهده الذي لم يُكتب له النجاح لإيمان قومه بالله[٧٦].

لقد اعتبر (هرشفلد) سورة (نوح) من جملة السور التوصيفيّة؛ لأنّ وصف الطبيعة موجود فيها. وحدَّد زمانَ نزولها أيضاً، معتبراً أنَّها أُنزلت بعد سورة (الفاتحة) وقبل

سورة (الرحمن)، مع أنّه يذكر بنفسه في مقدّمة كلامه عن السور التوصيفيّة ـ معتبراً ذلك قاعدة عامّة ـ بأنّ الوحي المتعرّض لبيان وصف الطبيعة ومواهبها نزل يقيناً في أزمنةٍ متأخّرةٍ.

ومن الواضح درجة التهافت والتضادّ بين هذين القولين؛ لأنّه وطبقاً لمبانيه فإنّ سورة (الفاتحة) قد نزلت في أواسط مرحلة الوحي المكيّ، وعليه فإنّ افتراض نزول سورة نوح بعد نزول هذه السورة لا يتلائم أيضاً مع تلك القاعدة العامّة المعتمَدة لديه والتي حدّد فيها تاريخ نزول السور التي وردت في وصف الطبيعة بآخر طائفة من السور التوصيفيّة التي توزّع نزولها على كافّة مراحل نزول الوحي القرآني.

مضافا إلى أنّه يرد عليه إشكال آخر وهو أنّه وبمناسبة ذكر قصة نوح في هذه السورة فإنّ بإمكان (هرشفلد) أن يُدرجها ضمن السور القصَصية، وكذلك أيضاً يُمكنه إدراجها ضمن السور الوعظيّة لاحتوائها الوعظ والنُصح للكافرين، وبهذا يظهر لنا أنّ هذه التقسيمات الطبقيّة والمعايير لم تُوضع إلا على أساس ذوقيّ وسليقة شخصيّة أو على أساس الحدس والظن ليس إلا.

وأخيراً فقد اعتبر (هرشفلد) السور التالية ضمن السور التوصيفيّة: الرحمن، ق، الجاثية، الشورى، فصلت، فاطر، السجدة، الملك، الفرقان، المؤمنون، النمل، الزخرف، الرعد، الفلق، الناس، يونس، لقمان، يس، الروم، الزمر والحج.

السور الحقوقيّة والتشريعيّة

أدرج (هرشفلد) طائفةً أخرى من السور تحت عنوان السور الحقوقيّة فقال في تعريفها: «إنّ اصطلاح الحقوقيّ يُطلق على تلك الآيات من الوحي المكيّ التي لوحظ فيها جانب (العبرة)، وغالباً ما يَقع البحث فيها تبعاً للموضع المخصّص لها في القرآن. وكما هو الحال في تشريع العهد القديم من التوارة للقوانين طبقاً لحاجات وظروف بني إسرائيل. كذلك فإنّ القرآن الكريم يُعتبر بالنسبة للمؤمنين مصدراً أساسياً يجمع الأمور الاخلاقية والعبادية والأحكام القضائيّة والحقوقية.

لقد اتّخذت الآيات الحقوقية منحى السور القصيرة جداً كما هو الحال في الآية (٩ إلى ١١) من سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾، نعم في خصوص الآية الأخيرة تظهر خصائص الوحي التوصيفي»[٧٧].

والجدير ذكره أنّ (هرشفلد) لم يَذكر أيَّ ملاك أو معيار دقيق للفصل بين السور التوصيفيّة والحقوقيّة وغيرها عن بعضها البعض. ويرجع ذلك لعدم وجود مثل هذا المعيار والملاك من أساس، ولذا نراه يتردّد في موارد عديدة حول إدراج السور تحت أي عنوان من العناوين التي وضعها، وكمثال على ذلك فإنّنا نجده يَضع هذه الآيات الثلاثة المتقدّمة ضمن الآيات الحقوقيّة إلا أنّه يُضيف قائلاً: بأنّ الآية الأخيرة منها يَتداعى منها الوحي التوصيفيّ، ولربّما اعتبرها كذلك بلحاظ أنّها تبيّن وتشرح النعم الإلهيّة، إلا أنه ومع ملاحظة التفاسير الواردة في هذا المجال ندرك أن الكثير من النعم التي تلقاها النبيﷺ من عند الله لا تربط لها بالطبيعة، بل ترتبط بالجانب المعنويّ والروحيّ كسعَة الصدر ونحوه.

ويذكر (هرشفلد) أنّه ثمّة نوع آخر هو الوعظ والنصح الذي يوجّه خطابه فيه للبشريّة بشكلٍ عام مع أنّ بإمكاننا القول وبلا شك بأنّ النبيّ كان يعني بها أمّته الصغيرة المسلمة. ويرى هذا النوع من البيان ضمن الآيات ٢٩ إلى ٥٥ من سورة الأعراف حيث أنّه يذكر ابتداء بعض الأحكام المتعلّقة بأماكن العبادة فيقول في الآية الثانية والأربعين ﴿ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ ثمّ يحذّر في الآية ٥٥ و٥٦ بقوله ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا... ﴾.

وضمن الوحي الحقوقي قلّما نجد مورداً لا يتعرّض فيه للزوم احترام الوالدين بل إنّ هذه المسألة تشكّل الموضوع الرئيسيّ في الآيات الأولى حتّى الثانية عشرة من سورة (العنكبوت) والآيات الأولى حتّى التاسعة عشرة من سورة (الأحقاف)[٧٨].

ونُلاحظ هنا مقولة (هرشفلد) من أنّ الأحكام والمواعظ والنصائح الموجودة في

سورة الأعراف وإن وجّهت خطابها للبشريّة بشكل عام إلا أنّه لا شكّ في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد أن يُخاطب بها ظاهراً وفعلاً أمّته المسلمة الصغيرة في ذلك الوقت؛ فإنّ هذه المقولة غير صحيحة؛ لأنّه من المسلّم به أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وإن اعتمد بحسب الظاهر على مخاطبة أمّته الحاضرة إلا أنّه كان يُعمّم الخطاب لكافّة المسلمين في كلّ عصرٍ وزمان ومكان وإلى يوم القيامة. والشاهد على هذا المدّعى نوعيّة الأحكام والأوامر الموجودة في هذه السورة وإليك ذكر بعض الآيات: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[٧٩]، ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[٨٠]، ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[٨١].

وعليه فبأي بيانٍ وبُرهان يُمكن إثبات كون المخاطب الحقيقيّ لله ورسوله في هذه الآيات هو خصوص تلك الأمّة المسلمة المعاصرة للنبيّ صلى الله عليه وآله، ومن ثمّ فإنّ التعليل الموجود في بعض الآيات لا يَقبل التخصيص ويدلُّ بوضوح على عموميّة الخطاب ودوامه كما في قوله ﴿**إنَّه لا يُحبُّ المسرفين**﴾، ﴿**إنَّه لا يُحبّ المعتدين**﴾ وحينئذٍ كيف لنا أن ندّعي بأنّ الله قد تنفّر واشمأز من المسرفين والمعتدين في عصر النزول وأمّا سائر عباده وحتّى يوم القيامة فقد أجاز لهم الإسراف والتعدّي.

الوحي المدنيّ حتّى معركة بدر

يتعرّض (هرشفلد) في هذا القسم إلى بيان نقاط الاشتراك والاختلاف بين الوحي المكيّ والوحي المدنيّ، وفي هذا المجال يقول: «إنّ الخصائص المشتركة بين الوحي المكيّ والوحي المدنيّ هي ذات أهميّة على الرغم من كونها محدودة، فهما يتشابهان من حيث السبك والبيان، ويتّحدان في عنف الخطاب ونغَم الكلام، وكذلك تضمنا معا أصولا اعتقاديّة وأموراً أخلاقيّة».

ويرى (هرشفلد) أنّ من غير الممكن الاعتماد على الباحثين المسلمين للفصل بين الوحي المكّي والوحي المدنيّ، بل يرى أنّ آراؤهم قد تؤدّي إلى ضياعنا بشكل

مباشر. ولذا لا بدّ من التعاطي باحتياط تامّ مع ما ينقلونه لنا من حكايات ومسائل ترتبط بالكثير من السور.

إنّ السور المدنيّة تحوي وكما هو الحال في السور المكيّة أيضاً على الكثير من الآيات الوعظيّة والقصصيّة والتمثيليّة، فالكثير من هذه الآيات تمّ نقلها إلى السور المدنيّة. وعليه يقع الترديد في هذا المقام، فمن جهة هل يجب أن نُلحق مثل هذه الآيات بهذه الطائفة من الوحي؟ ومن جهة ثانية ليس لدينا الدليل الكافي لتفسير سبب انتقال هذه الآيات من موضعها الحالي إلى النصّ الأساسي المعروف.

نعم، تحديد منزلة الوحي الحقوقي أقل صعوبة من غيره. كما هو الحال في الآيات المرتبطة بالأمور العباديّة (باستثناء بعض الموارد المتعلّقة بالصلاة والزكاة) أو الأمور القضائيّة حيث أنّ طابعها المدني واضح وبيّن. وأمّا الوصول إلى رؤية واضحة حول الأحداث المتعلّقة بالسور المكيّة فغير ممكن، ولذا لا نجد في هذا المجال مبنىً يمكن الاعتماد عليه.

وأمّا تلك الطائفة من الوحي المدنيّ والتي اكتسبت أهميتها واتخذت منحاها التفسيري بلحاظ الميول المذهبية اعتمادا على الحقائق الواردة في المرويّات، فإنها لا تملك مؤهلات الفصل بين الحقيقة والجعل والوضع، مضافاً إلى أنّ أكثر المصادر التي استند إليها غير صحيحة وغير معتبرة، وبناء عليه فإنّنا لا نجد أي ارتباط بين عدد كبير من الايات المدنيّة ـ التي قيل بارتباطها بأشخاص أو أمور معيّنة ـ وبين هؤلاء الأشخاص، في الوقت الذي يشكّل فيه التجييش العسكري إجابةً عن شبهة خاصّة نقضا واضحا لكافة الجهود التي سُخِّرت لإجل إثبات الفصل بين الدّين والدولة[٨٢].

إنّ هذا الرأي الأخير الذي تبنّاه «هرشفلد» هو أحد النقاط الإيجابية والاستنتاجات الصحيحة مما توصّل إليه، حيث اعتبر أن تجهيز الجيوش العسكرية من المسلمين وبأمرٍ من النبيﷺ يعتبر جواباً لشبهة «العلمانيّة» أي فصل الدين عن الدولة. مع أنه كان من الأفضل له أن يُشير ها هنا أيضاً إلى سائر أحكام الإسلام وقوانينه السياسيّة والاجتماعيّة.

ويُضيف (هرشفلد) قائلاً: «لا تتّحد الأهداف التي كان يُنشدها النبيّ في مكّة مع تلك الأهداف التي كان يُنشدها في المدينة، فإنّ تعاليمه في مكّة والتي كان يؤكّد عليها تقتصر على الأمور العباديّة فقط، وأمّا في المدينة فإنّ أكثر الوحي المدنيّ يهتمّ ببناء نظام الدولة، ولو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يُهاجر إلى المدينة فلن يعدو الإسلام أبداً عن كونه اتّجاهاً مذهبيّاً فقط. وبناء على هذا فإنّ مكانة النبيّ كمؤسس للدولة لا تقل عن مكانته في تأسيس الأمور العقَديّة، وختاماً يُمكننا القول بأنّ الوحي المدنيّ وخلافاً للسور المكيّة يتكفّل ببيان نظام مترابط لمجموعة من القضايا الدينيّة والإدارية، وقد سعى النبيّ في سبيل القيام بعمليّة الاصلاح هذه إلى الدمج بين لغة النصح والموعظة وبين لغة القوانين والأنظمة الفقهيّة والحقوقية، واستطاع نتيجة ذلك أن يوسع تلك المعارف إلى مجالات أخرى تتجاوز التقاليد والأعراف القائمة، فقد وصلت مكانته إلى الحد الذي كان يتم التعامل مع أي أمنية له كدستور متّبع، والتسليم بكلامه دون الخوض بأسئل من قبيل كيف ولماذا. وبهذا فقد خطابه الفصيح ذلك الرونق الحماسي الذي كان سابقا وتبدّل إلى لغة تقنينية، ولذا نجد تركيزا في آيات الوحي المدنيّ كافة على موضوع الطاعة لله عز وجل ولرسوله»[٨٣].

لقد ذكر (هرشفلد) أولا عند مقايسته بين خصائص السور المدنيّة والسور المكيّة أنّ هناك تشابهاً بين الوحي المكيّ والمدنيّ في السبك والبيان، فهما يتّحدان في اللغة العنيفة وفي اللحن والإيقاع، إلا أنّه يَتحدّث هنا عن فقدان لغة النبيّ الفصيحة في المدينة لتلك الحالة الحماسيّة والجذّابة التي كانت في مكّة وبالتالي تبدّل كلامه إلى لحنٍ هادئ ولغة تقنينيّة، وكما ترى فإنّ التناقض واضح عنده في هذين الكلامين؛ لأنّه لا يمكن الجمع بين اعتبار كلام النبي في المدينة مشابهاً في السبك ومتحدا في اللغة العنيفة وفي اللحن والإيقاع، مع القول بأنّ كلامه في المدينة يشبه كلام المقنّن الهادئ.

ثمّ يتابع هرشفلد كلامه قائلاً: «وبعد بيان هذه المقدّمات ندخل في بحث الوحي المدنيّ ونبدأ من سورة (البقرة) التي اعتبرها الباحثون قديماً وحديثاً على أنّها أوّل سورة مدنيّة، وقد اختلف المفسّرون في آياتها الأولى إلى الآية التاسعة عشر هل المراد

بها المنافقين أم اليهود؟ إلا أنّه وحيث لم يذكر المنافقين في تمام هذه السورة فإنّنا نحتمل أن الخطاب كان موجهاً إلى اليهود»(٨٤).

ولكن هذا الكلام من (هرشفلد) مناقش فيه؛ لأنّه وإن لم يُذكر اسم المنافقين في هذه السورة إلا أنّ لحن الآيات اتّخذ منحىً ذهب معه أكثر المفسِّرين إلى الاعتقاد بأنّه خطاب للمنافقين(٨٥).

ويُضيف (هرشفلد) قائلاً: «تعرّضت هذه السورة إلى الموضوعات التالية: توبيخ بني إسرائيل، الافتراء على القرآن، توبيخ اليهود ولومهم لنقض أحكام التوراة وتشريعاتها، قصة آدم وحواء وغيرها من المسائل والموضوعات الأخرى».

ولذا فإنّنا لا نجد في بعض آيات هذه السورة أي ارتباط بموضوعات الآيات السابقة لها أو اللاحقة عليها، وكمثال على ذلك نذكر الآيات ١٩ إلى ٣٧ حيث يتعرّض في الآية ٢٦ لمثل يضربه الله بأضعف الحيوانات ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾، ومن البديهيّ أنّ مثل هذا المثال لا ينسجم ولا يرتبط بما ضربه مثلاً في الآيات ١٦ إلى ١٩ من أمثلة النار والبرق والرعد، ولهذا السبب فقد رجح «نولدكه» أن تكون متعلّقة بالوحي المكي»(٨٦).

والذي نراه أنّه وخلافاً لما تصوّره (هرشفلد) فإنّ الترابط والانسجام موجود بين التمثيل بالبعوضة وغيرها من الأمثال في الآيات السابقة، حيث إنّ تلك الآية بصدد القول بأنّ ضرب أي مثل من قبل الله ممكن إذا كان من أجل إظهار الحق. ولو راجعنا شأن نزول هذه الآيات لأدركنا الارتباط الكامل بين هذا المثال وما سبقه من الأمثلة حيث ينقل عن ابن عباس قوله: لقد ضرب الله هذين المثلين للمنافقين فقوله: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾، كناية عن أنّ المنافقين ظنّوا أن بإمكانهم ومن خلال اختيارهم لطريق النفاق أن يحفظوا مكانتهم ومصالحهم لكنّ الله سبحانه ذهب بنورهم وفضحهم.

وأمّا في المثال الثاني فيصوّر القرآن حالة المنافقين بمسافرٍ ضلَّ طريقه في ليلٍ مظلم في الصحراء بسبب ما أصابه من الرعد والبرق والصواعق والخوف والوحشة، حيث يقول :﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

ولكن ردّ المنافقين كان بأنّ الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال وبالتالي شكّكوا في نزول هاتين الآيتين، فأنزل الله ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾[٨٧].

ويضيف هرشفلد قائلاً: «وكذلك الحال في الآية «٥١» وما بعدها حيث يتكلّم عن مواعدة الله لموسى أربعين يوماً ومن ثمَّ عبادة قومه العجل والنِعَم والإلهية التي أعطاهم الله إيّاها كالغمام والمنّ والسلوى ودخول بيت المقدس و... إلخ. ومن ثمَّ فجأة يذكر الآية «٦٢» الغريبة في موضوعها ومضمونها عمّا سبقها في رأينا ولربّما أدرج من قام بجمع القرآن هذه الآية في هذا المكان ليضعوا اليهود والنصارى والصابئين في صفّ المؤمنين، فقد ذكرت هذه الآية نفسها وبشكل مفصل في سورة المائدة الآية «٦٩» وهي مرتبطة وإلى حد ما بالآيات المذكورة فيها»[٨٨].

إنّ الخطأ الذي وقع فيه (هرشفلد) يتمثّل في الفرض المسبق وغير الصحيح من أنّه يجب في كلّ سورة أن تكون آياتها متّحدة الموضوع، وأن يكون هناك تناسباً بين صدرها وذيلها، إلا أنّه وبالنظر إلى كون القرآن يحمل لغةً خطابيّة وإلى كون آياته ناظرة إلى مقتضى حال المخاطبين بها قبل أن تكون آياته ناظرة إلى الصدر أو إلى الذيل، فلا بدّ من البحث عن التناسب المورديّ قبل البحث عن التناسب السياقيّ[٨٩].

ومن ثمَّ فإنّ (هرشفلد) بعد كلامه هذا يُقسّم سائر الآيات والسور القرآنية إلى الاقسام التالية : «البيانات السياسية»، و«الوحي المرتبط بأمور النبيّ الشخصيّة»، والآيات المرتبطة بالحج.

خلاصة واستنتاج

١ـ إنّ المراد من (التأريخ) هو تعيين تاريخ نزول الآيات والسور القرآنيّة. وتظهر ضرورة ذلك من خلال ملاحظة أنّ القرآن نزل تدريجاً وتبعاً للمقتضيات والظروف المحيطة.

٢ـ لقد سعى العلماء المسلمون إلى البحث والتمحيص عن كل ما تضمّنته الروايات ليتمكنوا من خلال ذلك من ترتيب السور القرآنية طبقاً للتحولات الاجتماعيّة في عصر رسالة النبي الأكرمﷺ وقد راعوا في ذلك أدقّ التفاصيل. بينما اعتقد المستشرقون بأنّ من غير الممكن الاعتماد على الروايات، وبالتالي شكّكوا في إمكانيّة الاعتماد على السيرة النبويّة والروايات المعتبرة الناقلة للأحداث الخاصة والعامة في عصر النبيﷺ لترتيب الآيات والسور القرآنيّة.

٣ـ إنّ المستشرقين ورغم اهتمامهم في بعض الموارد بالروايات والسنّة النبويّة، إلا أنّهم لم يستفيدوا منها بشكل صحيح، وكذلك فإنّهم في موارد كثيرة أيضاً تعاملوا مع الاحتمالات والفرضيّات الذهنية والعقليّة في مجال تأريخ الآيات كحقائق قطعية ومسلّمة، ولذا نجد مضافا إلى تنافي ما توصّلوا إليه مع المرويّات الإسلاميّة ومع ما توصّل العلماء المسلمون، أنّ هناك تنافيا وتناقضا بين دراسات المستشرقين أنفسهم، وهذا يعكس عقم وبطلان ما اعتمدوه في سبيل تحديد ترتيب نزول السور.

٤ـ إنّ من أهمّ الأخطاء التي وقع فيها (ڤايل) تتمثّل في اعتقاده بأنّ سور الطبقات اللاحقة كانت أطول من سابقاتها، مع أنّ ملاك قصر الآيات والسور وطولها يخضع لأمرٍ شخصيّ، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليه لأجل الفصل بين مراحل الوحي المكي والمدنيّ. ولذا لاحظنا وجود موارد كثيرة تشكّل نقضا لمبانيه ونتائجه التي توصّل إليها؛ ولذا أمكننا وصف سعيه هذا بأنّه أقرب إلى الذوق والتحليل الشخصيّ منه إلى البحث العلميّ.

٥ـ وأمّا (تيودور نولدكه) فقد أعلن أنّه ونظراً لعدم وجود قرائن وشواهد واضحة على مختلف الأحداث والوقائع فلا بدّ لنا وأن نبحث وعن طريق الرجوع إلى

القرآن نفسه لمعرفة مراحل تطوّر شخصيّة النبيّ محمّدﷺ. ومن ثمّ ترتيب الآيات والسور على أساس ما نتوصّل إليه. ولكنّه غفل عن إنّ الإله الحكيم قد جعل شكل ومضمون الآيات والسور تابعا لحاجات عباده، ولا يرجع الأمر في ذلك إلى الحالات الروحيّة والنفسيّة المرتبطة بشخص النبيّ محمّدﷺ.

٦ـ إنّ أهمّ إشكال يرد على ما توصّل إليه (رودول) هو اتّهامه النبيّ الأكرم بالتبديل والخلط في الوحي حيث يقول: «لقد تعمّد النبيّ خلط الوحي المتقدّم للقرآن مع الوحي المتأخّر والجديد منه وذلك بغرض التخفيف من حدّة بعض العبارات المنزلة قديماً، وبالتالي إيجاد التعادل بينها»، إلا أنّه لم يذكر أي شاهد أو دليل على هذه الدعوى، وبالتالي اكتفى بهذا الأصل الخياليّ القائل بأن الآيات النّازلة في أوائل الوحي لمّا كانت قصيرة لا بد من إدراجها في مكانها المناسب في مختلف السور القرآنيّة.

٧ـ بشيء من التأمّل في دراسة (بلاشير) يُمكننا ملاحظة التضادّ بين ما توصّل إليه وبين المسلّمات القطعيّة الكثيرة، وكمثال على ذلك يمكننا مشاهدة أنّ الكثير من السور القرآنيّة تتلائم وتنسجم مع المراحل الثلاثة من طبقاته المكيّة بلحاظ اللحن وأسلوب الكلام فلا يمكن الفصل بينها.

وكذلك من حيث الموضوع والمحتوى فإنّا نرى أنّه قد جعل السور التي تتعرّض للقيامة والظواهر الكونية في المرحلة الأولى من الوحي، مع أنّنا نلحظ وجود موضوعات متعدّدة أخرى، تعرضت لها الآيات المنزلة في هذه المرحلة، وبشكل متكرر لا يقل عما تعرضت له الآيات المرتبطة بالقيامة والظواهر الكونيّة، ولكنه لم يأت على ذكرها أبدا. إذا، المعيار المعتمد لديه غير جامع ولا مانع.

٨ـ وأمّا (جريم) فقد اعتبر أنّ سبك العبارات ولحن الكلمات هو المعيار في ترتيب الآيات والسور، فاعتمد بذلك على الذوق الشخصي والتحليل الخاص، ومن جملة ذوقيّاته اعتباره سورة (تبّت) أوّل سور القرآن وسورة (العلق) السورة الثانية عشر، وأمّا سورة (الفاتحة) فقد جعلها في المرتبة التاسعة والسبعين من حيث النزول،

وكذلك اعتباره بعض السور المدنيّة كسور الإنسان والرحمن والحج والرعد والبينة، ضمن السور المكيّة.

إنّ تحليل (جريم) لأنواع المضامين المشتركة في الاستخدام القرآني مفيدٌ للغاية، إلا أنّ هذه النظريّة لم يتم تبنّيها من الجميع فيما يرجع إلى المسائل العقائدية، ولذا سقطت عن الاعتبار.

٩- لم يقدّم (ريتشارد بل) نظاماً تأريخيّاً دقيقاً، بل استنتج بشكلٍ عام أنّ جمع القرآن يقسّم إلى ثلاث مراحل أساسية: مرحلة (الآيات)، مرحلة (القرآن) ومرحلة (الكتاب). ولم يقدّم (بل) حداً فاصلا بين مرحلة (القرآن) ومرحلة (الكتاب)، بل لم يتعرّض بدقّة لتفسير هذا الفصل ومنشئه. مع أنّ مفردة القرآن تعادل مفردة الكتاب في الكثير من الآيات.

وعلى الرغم من تتبّعه الدقيق نسبياً لكافّة آيات القرآن الكريم إلا أنّه لم يتمكن من تحديد تاريخ الكثير من الآيات القرآنيّة، كما تردّد في الكثير منها أيضاً. وقد احتمل أن السور المكية بتمامها لا تتجاوز العشرين، مع أنّ المشهور بين الباحثين أنّها ٨٦ سورة.

١٠- قسّم (ويليام موير) السور القرآنيّة إلى ستّ طبقات اعتبر خمسة منها مكيّة والطبقة السادسة مدنيّة، وقد استند في طبقاته إلى روايات السيرة بشكلٍ لافت إلا أنّه مع ذلك وبسبب اعتماده الذوق الشخصيّ ارتكب العديد من الأخطاء والهفوات، ومن جملة ذلك اعتقاده ودون أيّ دليل بأنّ ثمانية عشر سورة من القرآن ترتبط بما قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله. ووقع بسبب ذلك في تناقض القول فالاعتراف بقرآنيّة سائر السور يستلزم القبول برسالة نبيّ الإسلام، وعلى أساس ذلك يجب أن لا يجعل تاريخ نزول بعض السور راجعاً إلى ما قبل البعثة.

١١- لم يهتّم (هرشفلد) كثيراً بتاريخ الوقائع والأحداث بل قسّم غالب السور على أساس المضمون والمحتوى فيها وتوصّل إلى الترتيب التالي : سورة العلق، السور

الإثباتية، السور الخطابية، السور القصَصيّة، السور التوصيفيّة والسور التشريعية.

وكما ترى فقد رتَّب السور في هذه الطبقات بالاعتماد على الذوق الشخصيّ، ولم يقدّم أي دليل يبيّن فيه لزوم الابتداء من حيث النزول بالسور الإثباتية ومن ثم السور الوعظية ومن بعدها غيرها من الأقسام.

وبالتالي كيف يمكن تقسيم سور القرآن مع تنوّع مضامينها وموضوعاتها إلى الأقسام والطبقات المذكورة؟ وما هو المؤيّد والدليل العقليّ والنقليّ على ذلك؟

وعليه فإنّ ما بيّنه (هرشفلد) لا يعدو كونه مجرّد دعوى، لا دليل عليها ولا تَسلَم من التداخل فيما بينها.

١٢ـ إنّ الخطأ المشترك الذي وقع فيه كافّة المستشرقين الذين تعرّضوا لتأريخ القرآن هو اعتقادهم بأنّ الوحي المكيّ يختلف في أسلوبه عن الوحي المدنيّ، أي قولهم إنّ أسلوب السور المكيّة يمتاز بالشدّة والقسوة والوعد والوعيد والتهديد والترغيب، وأمّا السور المدنيّة فتمتاز بالهدوء والعفو والعطف والرحمة والتسامح إلا أنّ في القرآن كلا الأسلوبين سواء في الوحي المكي أم في الوحي المدنيّ.

١٣ـ إنّ احدى نقاط الضعف عند المستشرقين أنّهم ولإثبات دعاويهم وكلامهم إمّا أنّهم لا يملكون دليلاً ومدركاً سوى خيالهم الواسع وحدسهم والظن. وإمّا استندوا في ذلك إلى مصادر المستشرقين أنفسهم أمثال نولدكه، دايل وبلاشير والتي تفتقد للمعلومات الصحيحة عن علوم القرآن ومعارفه. وكذلك فإنّهم في الموارد التي يرجعون فيها إلى المصادر الإسلامية لم يلحظوا إطلاقاً المصادر الشيعيّة، وبالتالي فإنّ أمثال هذه الدراسات وخاصّة في المجال القرآنيّ ضعيفة وواهية لا يمكن الاستناد إليها.

١٤ـ لم يتمكّن أي تقسيم لطبقات السور في مجال تأريخ القرآن من الوصول إلى نتائج قطعيّة، كاملة وجامعة، وذلك لأنّهم اعتمدوا على السبك والاسلوب وعلى الخصائص الظاهرية للآيات ولم يعتمدوا على الروايات بشكل عام أو اكتفى البعض منهم بالروايات الضعيفة. كما انصبّ جهدهم للبحث عن السياق الدلالي والمضموني

للآيات. لقد دأب المستشرقون على إسناد تبديل الآيات ونقلها من مواضعها الأصلية إلى مواضع أخرى إلى النبيّ أو إلى جامعي القرآن بل رموا القرآن بالتحريف في بعض الموارد، إنّ نتائج الكثير من دراساتهم كانت أمراً ذوقياً وحدسياً.

إنّ البحث عن تاريخ نزول الآيات والسور لمّا كان المُعتمد فيه هو المنهج التاريخيّ فإنّ أفضل طريق لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى المصادر التاريخيّة المسلّمة والروايات المسندة الصحيحة، والتدقيق في مضامين الآيات والسور.

الهوامش:

(١) علي الصغير، محمد حسين، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص: ٢٧-٣٤، الطبعة الثانية، قم، دفتر تبليغات إسلامي، ١٤١٣هـ.ق.

(٢) ولد «فايل» في الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٨٠٨م في زولتسبورغ - مدينة صغيرة في جنوب المانيا - وفي سنّ الثالثة عشر دخل المدرسة التلموديّة في مدينة متس، والتحق في السابعة عشر بجامعة هايدلبرغ لإكمال دراسته الدينيّة، إلا أنّه لم يلبث أن تنحّى عن دراسة الإلهيّات ليدرس التاريخ والألسنيّات، في سنة ١٨١٦م نال مقام الأستاذيّة في اللغات الشرقيّة. توفّي في تاريخ الثلاثين من آب سنة ١٨٨٦م مدينة فرايسبورغ. (عبد الرحمن بدوي، دائرة معارف المستشرقين، ترجمة صالح الطباطبائي، ص: ٦٧٢-٦٧٥).

(٣) W. Montgomery Watt, ALKURAN. The Encyclopedia of Islam, V5, p 416.

(٤) المصدر نفسه، p. 418

(٥) ولد سنة ١٨٣٦م في مدينة هامبورغ الالمانيّة، وقد تمكّن بسبب جهوده البنّاءة ومواهبه الفكريّة واطلاعه الواسع على الأدب اليونانيّ، ومعرفته الكاملة باللغات الثلاث الساميّة (العربيّة، السريانيّة، والعبرانيّة) أن يتبوأ مقاماً عالياً وشهرةً عظيمة ليس فقط بين المستشرقين الألمان بل بين المستشرقين في العالم أجمع. أمضى تحصيلاته الابتدائية في مدينة لينجن وتحصيلاته الجامعيّة في مدينتي غوتنبرغ وبرلين، ونال شهادة الدكتوراه في سنة ١٨٥٦م عن رسالة بعنوان تاريخ القرآن والتي تُعتبر من أشهر آثاره. (فرهنك كامل مستشرقان، ترجمة شكر الله خاكرند، ص ٤١٩، وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص: ١٨٥).

(٦) NOLDEKE: The Origins of the Koran, Edited by Ibn Warraq, p. 51, 1998

(٧) طه، الآية ١١٤.

(٨) القيامة، الآية ١٦.

(٩) الأعلى، الآية ٦.

(١٠) المصدر في الحاشية رقم ٦ NOLDEKE

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) السيوطيّ، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج١ الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتب العلمية (بلا تاريخ).

(١٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، ج٢، ص ٦٢٨-٦٢٩، الحديث ٢.

(١٥) المصدر NOLDEKE (حاشية رقم ٦)

(١٦) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٣٩٨ (بلا مكان، بلا تاريخ).

(١٧) الجرجاني، عبد القاهر، اسرار البلاغة، ص ٣٣، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ. ق.

(١٨) فصلت، الآية ١١.

(١٩) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص ١٨٩.

(٢٠) NOLDEKE (حاشية رقم ٦).

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، كتاب الصلاة، الباب الأول من أبواب القراءة في الصلاة، ح٦، طهران، الطبعة الإسلامية ١٣٦٧هـ .ق.

(٢٤) معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص ١٣٥ و١٧٠، الطبعة الثانية، قم، دفتر انتشارات إسلامي، ١٤١٥هـ. ق.

(٢٥) NOLDEKE (p. 53)

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) رودول، قسٌّ وعالم إنكليزيّ من المستشرقين ودارسي القرآن في القرن الميلادي التاسع عشر، تابع تحصيلاته العليا حتى نيله شهادة الماجستير، وقد اهتمّ بدراساته حول الإسلام والقرآن، واجتهد لسنوات عديدة في دراسة الآيات القرآنية على وجه الخصوص فحصّل الكثير من المعلومات والمعارف القرآنيّة في هذا المجال واحدى خدماته الهامة، ترجمة القرآن إلى اللغة الانكليزيّة، (حسين عبد اللهي، خوروشب، فرهنك اسلام شناسان خارجي، ص ٥٨ و١٢٢).

(٢٨) WELL., The Koran, pp. 33-65, London, 1909

(٢٩) المصدر نفسه، WELL.

(٣٠) ولد بلاشير في الثلاثين من كانون الثاني سنة ١٩٠٠م في ناحية مونروج (باريس)، وفي سنة ١٩١٥م ذهب برفقة والديه إلى المغرب، وأمضى دراسته الابتدائية في المدرسة الفرنسية في الدار البيضاء، وفي سنة ١٩٣٢م أخذ إجازة الليسانس من جامعة الجزائر ومن بعدها رجع إلى الرباط واشتغل بالتدريس في مدرسة مولى يوسف وفي سنة ١٩٣٦ نال شهادة الدكتوراه من جامعة باريس عن رسالته «أبو الطيب المتنبي، شاعر العرب في القرن الرابع» والترجمة الفرنسية لكتاب طبقات الأمم. توفي سنة ١٩٧٣ عن عمر ناهز الثلاثة والسبعين. عبد الرحمن بدوي، دائرة معارف المستشرقين، ترجمة شكر الله خاكرند، ص ٤١٩.

(٣١)

(٣٢) ريتشارد بل، در آمدي بر تاريخ قرآن، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، ص ١٧٣، الطبعة الأولى، قم، مركز ترجمة القرآن المجيد للغات المختلفة، ١٣٨٢هـ. ش.

(٣٣) Chere, Le Coran, Vol. 6, p. 2

(٣٤) بلاشير، رزي، درآمدي بر قرآن، ترجمة أسد الله مبشري ص ٦٧، الطبعة الأولى، طهران، نشر ارغنون ١٣٧٢ هـ. ش.

(٣٥) نفس المصدر، ص ٦٨ – ٧٠.

(٣٦) نفس المصدر، ص ٧٢.

(٣٧) نفس المصدر، ص ٨٦.

(٣٨) قام هذا المستشرق الالماني والباحث المعاصر بالكثير من الدراسات حول القرآن، وقام بترتيب السور القرآنية في طبقات على أساس الروايات والمصادر الإسلاميّة، ومن آثاره كتاب عن نبيّ الإسلامﷺ بعنوان «محمّد» طبعه سنة ١٨٩٢ في مدينة مونستر، عبد اللهي، خوروشب، فرهنك اسلام شناسي خاور شناسان، ص ١٩٩، الطبعة الأولى، طهران، مدرسة مطبوعاتي مطهر ١٣٦٢هـ. ش.

(٣٩) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ١٧٦ و١٧٥، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

(٤٠) راميار، محمود، تاريخ قرآن، ص ٦٢١، الطبعة الثانية، انتشارات اميركبير، ١٣٦٢هـ. ش.

(٤١) بدوي عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ١٢٢ و١٢٣، القاهرة، الدار العالمية للكتب والنشر، (بلا تاريخ).

(٤٢) محقّق اسكتلنديّ، وأحد أساتذة الأدب في جامعة إدنبورغ، وقد أمضى معظم عمره في دراسة علوم القرآن وتاريخه، ومن أشهر آثار «بل»: ترجمة القرآن الكريم (سنة ١٩٤١م) مقدمة إلى القرآن الكريم (سنة ١٩٥٣م) أسلوب القرآن الكريم (سنة ١٩٤٤م)، المتشابه في القرآن الكريم (سنة ١٩٤٤م). عن (عمر بن ابراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص ١٠٠، الطبعة الأولى، الرياض، دار طيبة، ١٤١٣هـ. ق.

(٤٣) Introduction to the Quran, Richard Bell, London, 1953

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٢١ إلى ١٤٤.

(٤٦) مستشرق إنكليزيّ، ولد سنة ١٨١٩م في السابع والعشرين من شهر نيسان في مدينة غلاسكو، وفي الحادي عشر من شهر كانون الثاني من سنة ١٩٠٥م توفي في مدينة إدينبورغ الاسكتلندية. (عبد الرحمن بدوي، فرهنك كامل خاورشنسان، ترجمة صالح طباطبائي، ص ٦٣٧).

(٤٧) The Coran, its Composition and Teaching, p. 41 - 42, 1878

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٤٩) للاطلاع على المتن الكامل لتحقيقات موير، راجع فصلية بزوهش حوزه، العدد ١٩٢٠م، ص ٢٣٥ إلى ٢٥٠.

(٥٠) محقق يهودي ومستشرق انكليزي متعصّب ضدّ الإسلام، ولد في «تورن» من مقاطعة بروسيا في شمال ألمانيا، وبعد إنهائه لدارسته الجامعية العليا، نال شهادة الدكتوراه سنة ١٨٧٨م من جامعة اسبورغ، وفي سنة ١٩١٩ أصبح استاذ اللغات السامية في الجامعة اليهودية في لندن، ومن ثمّ درس اللغة العبريّة في جامعة لندن، ونال في سنة ١٩٢٤م رتبة الاستاذية (البروفسور)، وتوفي سنة ١٩٣٤م (راجع: حسين عبد اللهي خوروشب، فرهنك اسلام شناسان خارجي، ص ٢٢).

(٥١) New Researches into the Composition and Exegesis of the Quran, p. 33, 1920

(٥٢) محمّد حسين الطباطبائي، الميزان، ج٢، ص٣٢٢، الطبعة٣، قم- مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، ١٣٩٣هـ.ق.

(٥٣) محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١ ص ٢٨، الطبعة الأولى، بيروت - دار الفكر.

(٥٤) محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج٢ ص ٦٢٨، الحديث ٦.

(٥٥) Hirschfeld, p. 34

(٥٦) محمّد بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢ ص ٢٧٢.

(٥٧) الميزان، ج٢ ص ٣٨٦.

(٥٨) جلال الدين السيوطي، تفسير الدر المنثور، ج٦ ص ٣٢٧، الطبعة الأولى، بيروت – دار الفكر.

(٥٩) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٢٦ ص ٣٨١ - ٣٨٢، الطبعة الأولى، طهران - دار الكتب الإسلامية، ١٣٥٢هـ . ش.

(٦٠) سورة الحاقة: الآيات (٤٠ إلى ٤٢).

(٦١) سورة الطور: الآيات (٢٩ و٣٠).

(٦٢) Hirschfeld, pp. 34-37

(٦٣) سورة النجم، الآية ٤.

(٦٤) Hirschfeld, p. 47

(٦٥) Hirschfeld, pp. 49 - 52

(٦٦) محمّد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج٥ ص٤١٩، الطبعة الثالثة، القاهرة - دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١هـ.ق.

(٦٧) Hirschfeld, p. 53

(٦٨) محمّد عزة دروزة، المصدر السابق، ج٦ ص ١١٨.

(٦٩) عبد علي بن جمعة الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥ ص ٦٥، الطبعة الثانية، قم – المطبعة العلمية (وردت هذه الرواية في الدر المنثور للسيوطي، ج٦ ص ٣٨٢ دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت، لبنان).

(٧٠) Hirschfeld, pp. 54 - 58

(٧١) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ج٢ ص ١٥ و١٣٨.

(٧٢) سورة القمر: الآيات (١٧ – ١٨).

(٧٣) سورة الصافات، الآية ٣٦.

(٧٤) Hirschfeld, p. 63

(٧٥) محمّد عزة دروزة، السابق، ج٤ ص ٧٢.

(٧٦) Hirschfeld, p. 72

(٧٧) Hirschfeld, p. 73

(٧٨) Hirschfeld, p. 79

(٧٩) Hirschfeld, p. 81

(٨٠) سورة الأعراف، الآية ٢٩.

(٨١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٨٢) سورة الأعراف، الآية ٥٥.

(٨٣) Hirschfeld, p. 12

(٨٤) Hirschfeld, p. 12

(٨٥) Hirschfeld, p. 16

(٨٦) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان، ج١ ص ٥٤.

(٨٧) Hirschfeld, p. 16

(٨٨) جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ٨ و٩، بيروت – دار الكتب العلمية. (راجع: الأمثل في تفسير القرآن، الشيرازي، ج١ ص ١٠٦ إلى ١٠٨).

(٨٩) Hirschfeld, p. 17

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى